

ممدوح عدوان

سفر برلك - ٢

الغول

(جمال باشا)
السفاح



مصحح و تعديّل : علاء بريك هنيدي

مسرحية في فصلين

ممدوح عدوان

سفر برلك [٢]

الغول

« جمال باشا »

السفاح

مسرحية في فصلين

منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٦

عدوان ، ممدوح ، الغول ، مسرحية ، الطبعة الأولى ،
منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٣٣٦ ص ،
قياس ١٤ × ٢٠ سم .

*

مطبعة اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٦/٢/٢٠٠٠

(الفصل الأول)

"جمال نائم يتقلب تحت تأثير
حلم مزعج . إنه في بقعة ضوئية . ونحن نرى
حلمه الذي هو تجسد أشخاص (رجال
ونساء) يحيطون به كالأشباح ويحاورونه
هؤلاء هم الجوقة . وهذه الكلمة أينما
وردت تعني شخصاً منها أو الأشخاص
مجتمعين . ﴿ شخص ﴾ جالس في زاوية يقلب
كتاباً "

(الأشباح) " تظهر وتنشد "

الجوقة

لن تهرب منا حتى بالنوم
ستلاحقك ضحاياك بنقمتها

بالتأثر ولن يكفيها اللوم

أنت جمال السفاح

أنت جعلت حياة الناس تُباح

وجعلت غناء الناس نواح

وصراخ الناس نباح

وضحاياك ولو كملت شكواها

ستطاردك ولو صارت أشباح

" يصرخ وهو يتقلب إنه يرتدي لباس
نوم طويلا هو وسط بين الكفن والكلاية.
لكن من السهل على جمال أن يخلعه لكي
يظهر بملابس أخرى "

جمال

سممت حياة القوم

الجوقة

وملأت نفوس الناس جراح

وذنوبك تأتيك ولو في هيئة أشباح

: "يصرخ مرة أخرى. تتراجع الأشباح
خطوة فتصبح في الظلمة يجلس جمال
مرهقا. يتلفت حوله في فزع فلا يرى

جمال

أحداً. يضع رأسه بين يديه كمن لا يستطيع
فتح عينيه "

الجلوقة

" تتقدم وتحيط بجمال الذي لا يحس
بوجودها الآن أحد عناصرها يخاطب
الجمهور "

أهلاً ياساده

ألف سلام

هذا النائم يصحو

حين يكون الناس نيام

ولقد جرت العاده

أن نحسب نوم الظلام عباده

فكأننا كنا نأمل أن السفاح

سيموت إذا ما نام

لكن هذي الأيام

الظالم حتى حين يموت .. ينام

والظلم يتابع جولته

حتى بعد غياب الظلام

فلنحذر أن نستسلم للأوهام

أن نحسب موت الظالم

يضمن للناس سعادته

فلقد ربي الناس لكي يبقوا

كل العمر خراف

لكن الظالم

حتى وهو يُخيف يخاف

والخوف لدى الظالم

مثل الشبح الهائم

لا يظهر إلا في الأحلام

"يقفز مذعوراً" ابتعدوا عني " يختفي
عناصر الجوقة هو يتابع انفجاره "
ابتعدوا عني. ابتعدوا أيها الوحوش
يصرخ " يا حرس. "يدخل حارس " أين
بقية الحراس ؟ أين رئيس الحرس ؟ كيف
تسمحون للغرباء بالدخول علي

جمال

وأنا نائم ؟ ألا أستطيع أن أثق حتى
بحرسي ؟

الحارس

جمال

" يتطلع حوله مرتبكاً فلا يرى أحداً. "

: " يتلفت حوله فلا يرى أحداً هو
الآخر. " كانوا هنا نعم كانوا هنا. لقد
هربوا الجبناء حين ناديت الحرس
هربوا. هؤلاء الناس لا يوقفهم عند حدهم
إلا إظهار القوة والبطش. أظهر قوتك
لتراهم يخفون مثل الخفافيش التي تفاجئها
الشمس. ألا تذكر يوم كنت أسير وحولي
حامل البطاطات ؟ نعم. كان البلطجي منهم
يكفي بالتفاحة حوله لكي ينحني الناس لي.
الآن تأتيهم الجرأة لمضايقتي. يظنون أن من
السهل عليهم أن ينالوا مني. اسمع أبقى
سلاحك جاهزاً. ستكون حراستك هنا
داخل الغرفة. " يستدرك " لا. لا. ليس
هنا في الداخل بل عند الباب تماماً
سمعت ؟ عند الباب. ضع حارسين ثلاثة
" الحارس يهز رأسه ويخرج " عند الباب

وليس هنا يبدو أنني أتحدث في نومي
يجب أن لا يراني نائماً النوم يُفقد الإنسان
هيبته وما أدراني أنهم لم يشتروا الحارس
أيضاً؟ " ينتبه إلى النافذة يسرع إليها
ويغلقها بإحكام. يتناول كرسيًا أو يدفع
بالسرير لكي يسند به الباب. يعود إلى
مكانه يسترخي وينام.

" بظهرون تدريجياً من الظلام أحدهم
يقترّب منه ويتأمله وهو نائم "

الجوقة

هل كان يخاف إلى هذا الحد ؟

وهل استغفلنا النوم أم الموت

لتبلغ جرأتنا هذا الحد ؟

أهو النائم أم نحن نيام

نحلم بالغد ؟

الجوقة " للجمهور " نوم الظلام عباده

لكن لن ندع النسيان

يضحي للظلم وساده

وسنوقظ هذا الجلال

في القبر وفي ذاكرة الأوطان

فلعل الذكرى

تقلق هذا الطغيان

أو تخلع أوتاده

الجوقة " لجمال بصوت أعلى "

قم ياسفاح

قم من نومك أو من قبرك

قم نستطلع بأمان

مابان

وما خفي علينا من أمرك

قم واكشف عن شرك

وتخلص من ستر مخاوفنا

أو من سترك

" يستيقظ مذعوراً فينسحبون " هل

سنأجن؟ هل يُعقل أنني خائف إلى هذا الحد؟

" يعلو صوته " جبابرة بني عثمان الذين

كانت الدنيا ترتعد تحت أقدامهم ينتهون

جمال

هذه النهاية ؟ يترაკضون في زوايا الأرض
بجأ عن مخابئ لهم ؟ قسادة حزب
الانحداد والترقي لا يجدون الآن أماناً أو
ملجأ؟" تظهر الجوقة أمامه يتطلع إليهم
وكانه لا يراهم يستمر في الكلام كأنه
يحدث نفسه " منذ أن أرسلوني إلى ألمانيا
عرفت أن دوري قد انتهى أبعدونني لكي
لا أسزد شرفي في معركة الشار التي كنت
أعد لها . وعينوا قيادة بديلة لكي تقود
الهزيمة . " ينادي " هل أنت مسرور
الآن يا مصطفى كمال ؟ هل حققت مبتغاك
يا شريف حسين ؟ يا سليل بيت
الرسول ؟ هل أنت سعيد يا مرسييني ؟
يا جمال الصغير ؟ " يعود إلى نفسه " كيف
لم تنتبه القيادة إلى مصطفى كمال ؟ كيف
عميت عيونهم عنه وتركزت شكوهم
علي أنا ؟ أين أنور يا شا المغرور بذكائه
ليقول لي كيف غفل عن الجميع ولم ينتبه
إلا إلي ؟ " ينادي " يا أنور يا أنور باشا

جوقة : غادر تركيا على غواصة ألمانية بعد الهزيمة
فقتله مرافقه

جمال : مرافقه؟ من هو؟

جوقة : أرمني تظاهر بالإسلام حتى تمكن منه

جمال : الغبي أنور هذا الذي كان يرى نفسه

نابليون يغفل حتى عن الأرمني ويعينه

مرافقا له هذا جزاء الاعتداد بالذكاء

هل سمع الصدر العظم بذلك؟

جوقة : الصدر الأعظم سعيد حليم باشا؟ اغتاله

الأرمني أرشاوير سيراكيان في روما عام

١٩٢١

جمال : سعيد أيضاً؟ وماذا جرى لطلعت باشا؟

جوقة : اغتاله هوغومون تهلريان في برلين في ١٥

آذار ١٩٢١

جمال : أرمني أيضاً؟ من قتلوا غيره؟ هل قتلوا

عزمي بيك؟

جوقة : قتله فدائي أرمني في برلين ألا تريد أن

تعرف أخبار سكرتيرك بهاء الدين شاكر؟

قتل هو الآخر ؟
قتله آرام يركنيان في برلين أيضاً عام

جمال

جوة

١٩٢٢

لم يبق غيري إذا ؟
أنت أيضاً نلت جزاءك

جمال

جوة

ماذا تعني ؟ أنا ذاهب إلى أفغانستان .
اتفقت مع ملكها على أن أدرب له جيشاً
هناك . خلص انتهينا سأترك هذه المنطقة
كلها

جمال

كنت ذاهباً لكنك قتلت في الطريق .

جوة

قتلت ؟ كيف ؟

جمال

تذكر جيداً ستحتاج اليوم إلى أن تذكر
كثيراً . ألا تذكر أنك قتلت ؟

جوة

:" يهدأ ويحاول أن يتذكر " آخر ما
أتذكره صوت إطلاق النار وآلام حارقة في
المرء ما كان ذلك ؟

جمال

واحد من الجوقة " طلقة من مسدسي .

جمال : من مسدسك ؟ من أنت ؟

اصطفان : اصطفان زاغكيان

جمال : أرميني أيضاً ؟ آ. صحيح معك حق .

أصلاً لو طأوعوني لما تركت واحداً منكم
على وجه الأرض ما كنت لأسمح لبدو
الجزيرة السورية بإنقاذ أحد منكم

اصطفان : ألم تكن تتوقع أن واحداً منا سيقنلك ؟

هل خطر لك أن الأرمن سينسونك ؟

جمال : هذا تفصيل لأهمية له كنت أنتظر

دائماً أنني سأموت مقتولاً أنت تعرف

كثيرون كانوا يريدون قتلي عرب

وإنكليز وفرنسيون وأكراد وروس وأرمن

وألمان وحتى الأتراك

جوقة : أترك أيضاً ؟ تقصد أنور باشا ؟

جمال : لا. الشعب التركي نفسه حين تقع

الهزيمة يجسدها الشعب في سبب ما ثم

يسعى إلى سحق هذا السبب قد يجسدها

في فئة أو طائفة فتحدث المجزرة وقد

يحمدها في شخص ويحاول أن يتخلص
 منه. الشعب في هذه الحالة يحاول التخلص
 من عار الهزيمة. لا يريد أن يعترف أن
 أسباب الهزيمة كامنة فيه يحولها إلى سبب
 خارجي ويتخلص منه. ثم يلتف الناس
 حول هدف آخر أو شخص آخر لكي
 يحقق لهم شيئاً ما فينسوا الهزيمة نهائياً
 بل ربما حولوا الإحساس بعار الهزيمة
 إلى إحساس بالفخر حتى ليظنوا أنهم
 انتصروا به

: تقصد مصطفى كمال ؟

جوة

مثلاً.

جمال

: يجب أن يحب الأتراك مصطفى كمال
 ويفتخروا به هو بطل معركة غار
 ليباري. أهم نصر عثماني على الحلفاء في
 الحرب العالمية الأولى أخرج بنتيجته
 الحلفاء من المضائق وكبدهم خسائر كبيرة.
 الإنكليز وحدهم خسروا ٢٥١٠٠٠٠٠ قتيلًا.

جوة

: وتصدقون هذا الكلام ؟

جمال

جوقة : نصدقه طبعاً لاتنس أن يوسف العظمة
كان معه في تلك المعركة

جمال : عندما كان ضابطاً في الجيش العثماني
قبل أن يخوننا ويلتحق بالأمير فيصل بن
الحسين لابد أن يكون مصطفى كمال
ويوسف العظمة صديقين لكل منهما
حلمه ولكن أستغرب لم لم يتخاصما منذ
البداية مثلما تخاصمت مع الشريف حسين
وابنه الأمير فيصل .

جوقة : ولماذا يتخاصمان ؟

جمال : هذا لديه حلم تركي وهذا لديه حلم
عربي

الخليل : (من الجوقة) كان الحلمان متطابقين ذات
يوم وكان الاثنان يحاربان قوة غريبة
واحدة

جمال : من ؟ عبد الكريم الخليل ؟ ألم أعدمك
يارجل ؟ ما الذي جاء بك ؟

: جئت أصلي ما تقوله عن يوسف العظمة
ومصطفى كمال.

الخليل

: هل أنا هنا لأجلهما ؟ أنا غير مهتم
بالعظمة . إذا أردتم أن نتحدث عن
مصطفى كمال فأنا جاهز

جمال

: حتى في هذه لا تستطيع أن تتخلى عن
حبك للأتراك وكرهك للعرب

الخليل

: ألم تكرهوا كل ما هو تركي وأنتم
تحددون انتماءكم لعروبيتكم ؟

جمال

: أنت تعرف أن الانتماءين كانا واحداً
بالنسبة لنا ذات يوم . وخاصة حين
احسنا بالخطر الأوربي وأنتم ،
الاتحاديين ، كنتم مصريين على رفض كل
حل اقترحناه .

الخليل

: ليس للمحكوم أن يقترح على حاكمه
المحكوم ينفذ .

جمال

: لهذا رفضتم طلباتنا بالإصلاح
واللامركزية والمحافظة على اللغة العربية
أردتم تزريك كل شيء فكانت

الخليل

النتيجة أننا تركناكم ، ونحول ضابط
كبير مثل العظيمة إلى صف الأمير فيصل
لتحقيق حلمه العربي مثلما انصرف
مصطفى كمال لتحقيق حلمه التركي

جمال : يبدو أنكم معجبون بمصطفى كمال

جوقة : حين بدأنا نعاني ماعانينا من الاستعمار
الغربي كان مصطفى كمال أقرب مثال
يُحتذى. هاهو قائد يحب أمته المهزومة
استطاع جعل الجيش العثماني المتقهقر أن
يتماسك في حلب بعد الهزيمة وانهيار
الامبراطورية. وهو الذي استطاع أن يطرد
الطلليان الذين احتلوا أجزاء من تركيا بعد
الهدنة وهو الذي سعى لبناء دولة عصرية
على أنقاض الامبراطورية

جمال : دولة عصرية ؟ يعني دولة ترضي الذوق
الأوربي تنحصر في الشمال وترك
الامبراطورية ليتقاسمها الأوربيون
أرايتم ؟ بدولة صغيرة استطاع أن يُنسي
الأتراك أنهم قد خسروا امبراطورية . ولكي

يكونوا عصريين ر... ر... سي...
 ، مثلما خلعوا الطربوش والقلبىق ، أنساهم
 أنهم مسلمون فالإسلام سيذكركم
 بذلك الماضي لهذا سأترككم لعصريتكم
 وأغادر المنطقة كلها

: بعد أن خربت مالطة ؟

: خربت أم لم تخرب لم أعد مهتماً وإذا
 كانت قد خربت فتذكروا أنكم أنتم الذين
 خربتموها

: نحن ؟ من نحن ؟ من تقصد ؟

: صحيح من أنتم ؟ إن كنت قد قتلت ،
 كما تقولون ، فمن أنتم ؟ ملائكة الحساب ؟
 : نحن الذين قتلوا في عهدك نحن
 ضحاياك .

: "بنأملهم وهو يتمتم " أذكر أني قتلت
 أكثر من هذا العدد بكثير ولكن ما الذي
 تريدونه الآن ؟

: نريد أن نصفى الحساب معك .

جمال : أي حساب طالما أنني قُلت ؟ اتركوني
لربي كي يحاسبني

جوقة : سيحاسبك ربك كما يشاء . لكن حسابنا
نحن مختلف نريد أن نعرف ماذا جرى

جمال : كنت أريد أن أصلح كل شيء . كنت
سأحارب من جديد . لو لم يطردوني
لبقيت وأوقفت الانهيار ولكنها حيلة
قذرة أرسلوني إلى ألمانيا ولم يتركوا
أمامي إلا فرصة الوقوف عاجزاً في مواجهة
أحقاد جميع الذين استعديتهم من
أجل الحرب وانتصار الدولة العلية
فتذكرت ملك أفغانستان وعرضه المقدم
إلي .

جوقة : فوضعت حداً لرحلتك الطويلة وتنازلت
عن حلمك الجميل

جمال : نعم حلمي الذي ظللت طوال عمري
أطارده

جوقة : دولة تكون ملكاً عليها

: لماذا تستغربون ؟ ليس هناك إنسان في
الدنيا لم يحلم مرة واحدة على الأقل أن
يكون ملكاً. أنا أيضاً كنت أحلم لكن
كانت لدي وسائل لتحقيق هذا الحلم
وكانت أمامي فرصة واضحة

جمال

: أنت أيضاً كنت تريد دولة صغيرة بدل
الامبراطورية مثل مصطفى كمال

جودة

: دولة باختراري . وليست دولة تُصرف لي
في السوق عند صراف أوربي غشاش أنا
عندي نظرية في هذا الموضوع هل
تعرفون كيف انقرضت الديناصورات ؟
حدث ذلك حين صارت الأرض موطناً
للحيوانات الصغيرة والحشرات صار
الديناصور أكبر من كل ما حوله وكل ما
فيه ينتمي إلى عصر سابق : حركته

جمال

سرعته . أسلحته صار عاجزاً عن الدفاع
عن نفسه . صار النمل قادراً على أن يأكله
وهو حي . وصار أثقل من أن يراوغ ثعلباً
أو ذئباً . وهو ، طبعاً ، أكبر من أن
يستطيع الاختباء .

جوة

: وما المقصود بهذا المثال ؟

جمال

: المثال واضح صرت أفكر في دولة على
مقاس العصر . لأن الحشرات كانت تقرض
أطراف الامبراطورية وهي عاجزة عن
الدفاع عن نفسها انفصلت اليونان ثم
كريميا ثم البلقان ثم البوسنة أخذ
الانكليز قبرص ومصر وصاروا يطالبون
بفلسطين والعراق . وقيمون تحالفات مع
العشائر والمشايخ والقبائل على شواطئ
الخليج وجنوب الجزيرة العربية الطليان
أخذوا ليبيا والفرنسيون أخذوا شمال
أفريقيا وأظهروا أطماعهم في سورية
ولبنان ولكل من هؤلاء حلفاء في الداخل
.للانكليز المشايخ والقبائل واليهود
والأشراف . وللفرنسيين الموارنة . وللروس
الأرمن . هذا غير السعي اليهودي لأخذ
فلسطين

جوة

: هل ستضيعنا في التفاصيل ؟

: أنا لم أصنع التاريخ وحدي كان هناك
آخرون إنكليز وفرنسيون وألمان وعرب
ويهود وأرمن.

جمال

: سنحكي القصة كلها ومن بدايتها
الجميع سيأتون إلى هنا

جوة

: وتستطيعون جلب الجميع ؟

جمال

: الجميع صاروا الآن في التاريخ. والتاريخ
جاهز لكل من يريد مراجعته أتعرف من
هذا ؟ " تسلط بقعة ضوئية على زاوية
يقف فيها شاب جمال يقترب منه
متفحصاً . يتأمله بتوتر. وبغته يهجم عليه
يريد أن يخنقه "

جوة

: أتركوني عرفته فيصل بن الحسين هذا
هو أصل البلاء هو وأبوه ألم تعرفوه ؟
دعوني أنتقم منه

جمال

: تنتقم منه وحده ؟

لورانس

: لورانس !! أنت أيضاً ؟ قولوا إنها
مؤامرة. مؤامرة أخرى تلاحقني حتى بعد
الموت .

جمال

فيصل : لا حاجة للتوتر يا باشا أنا هنا مثلك أنا
أيضاً لا أستطيع النوم . أنت ضيعت
حلمك. أما أنا فقد ضيعت حلمي
وأحلام الناس .

جمال : وماذا يهمك؟ أخرجت من سورية لتصير
ملكاً على العراق وأخوك عبد الله على
الأردن وعلي في الحجاز

فيصل كأنك لا تعرف بما جرى

جمال : أياً كان ما جرى فقد انتهيتم ملوكاً

فيصل : ما من شيء في الدنيا يمكن أن يعوضك
عن إحساسك بغدر الآخرين وخداعهم
لك .

جمال : مثلما خدعتني حين أرسلتك إلى الحجاز
لجلب الجيش .

فيصل كانت بيننا وبينك حرب يا باشا وفي
الحرب يمكن اللجوء إلى الخديعة أنا
أتحدث عن شيء آخر خديعة الحلفاء
لنا

"بشماتة" اكتشفت أن الإنكليز قد
خدعوك ؟ وعلى رأسهم هذا الثعبان

جمال

لورانس
كان ذلك تاريخاً ياباشا . وكان لكل منا
دوره

لورانس

"لورانس" لماذا جئت أنت ؟ هكذا
ستخرجوننا عن الموضوع الذي جئنا من
أجله

جوقة

:رما هو الموضوع؟

لورانس

:الموضوع هو محاكمة جمال باشا

جوقة

:انسحب إذا "انسحب"

لورانس

:وأنا انسحب حتى تحين محاكمتي

فصل

:لا. ليس قبل أن نجيبني على سؤال

جمال

كيف خطر لك أن تثق بالإنكليز ؟

: "بشرح للآخرين" بريطانيا وفرنسا

فصل

وألمانيا وروسيا وإيطاليا كانت هي الدول

العظمى في أيامنا وهذه الدول كانت

قدرنا وقدرة الجميع قبل أن تبدأ الحرب
 كانت هذه الدول تسيطر على أكثر من
 ٨٠٪ من العالم. ولذلك كان لابد
 للشعوب الضعيفة من البحث عن تحالفات
 لتحقيق طموحاتها وأحلامها حين تحالف
 العثمانيون مع الألمان تحالفنا مع أعدائهم
 للتخلص من الظلم العثماني ومن محاولة
 نحو الهوية العربية كنا نريد تحقيق استقلال
 العرب. فبالإضافة لما لاقاه العرب على
 أيدي العثمانيين كان من الواضح لنا أن
 اشتراكهم في الحرب سيعرض هذه البلاد
 للخطر الدولة ضعيفة ومهلهلة وغير
 قادرة على تحقيق أي نصر في تلك الحرب
 التي ورطهم فيها الألمان سينتصر الحلفاء
 إذا وبدلاً من أن يدخلوا البلاد أعداء
 منتصرين فاتحين يمكن أن يدخلوها حلفاء
 لنا. هكذا كان اجتهادنا ولكنني لم أفهم
 بعد أين نحن

: فعلاً أين نحن ؟

جمال

: نحن في عالية " لجمال " هل تذكر عالية

جوة

والمحكمة العرفية ياباشا ؟

: وما علاقتي أنا بعالية ؟ عالية من صنعه
هو.

لبهل

: سنحاكم الطاغية وقد نحتاج إلى
شهادتك

جوة

" بضحك باستخفاف " طاغية هل
تظنون أنه من السهل عليكم أن تحاكموا
طاغية ؟

جمال

: ولم لا ؟

جوة

: الطاغية لا يصير طاغية إلا بعد أن يملك
عصره ويتمكن منه ولذلك فإن محاكمة
الطاغية محاكمة لعصره الذي استسلم
له.

جمال

: " لزملائه " هذا ما قلته لكم كان يجب
أن نقله منذ جاء إلى دمشق

جوة

جمال : لو قتلني قبل أن أفعل شيئاً لما قتلت
طاغية. كنت قتلت إنساناً عادياً وربما
بريئاً.

شخص : "الذي كان صامتاً حتى الآن ينهض
ويقترّب منهم " اسمحو لي " يلتفت
الجميع إليه "

جمال : ومن أنت أيضاً؟

شخص : أنا شخص يحمل كتاباً فيه شهادات
الشهود إن كنتم ستحكون قصة جمال
باشا فإن لدي معلومات عن أمور كانت
تجري في أيامه ولا تكتمل الصورة إلا بها
تفضل يا أنور باشا

أنور : كان جمال باشا شديد الإعجاب
بالفرنسيين وكنا، نحن، نعرف الأطماع
الفرنسية في إمبراطوريتنا ومع اقتراب نذر
الحرب صار الموقف الموحد في قيادة الحزب
ضرورياً فقلنا يجب أن يتأكد جمال بنفسه
من أطماعهم واقتنع الصدر الأعظم

بالفكرة فأرسله إلى باريس لإجراء
مفاوضات مع الفرنسيين من أجل قرض
مالي بفائدة ٩٪

: وحوش كنت أظن أنني ذاهب إلى باريس
عاصمة النور ففوجئت أنها صارت عاصمة
النور. لم يتركوا لي فرصة الاستمتاع
بالمدينة الحضارية. العمى. لم يبق إلا أن
يطالبوا بالامبراطورية كلها لقاء هذا
القرض.

جمال

: وماذا كانت شروطهم ؟

أنور

: « اسمعوا تبدأ شروطهم هكذا منح
سورية استقلالاً داخلياً عن كافة الممالك
العثمانية وأن لاتعين تركيا حاكماً
عسكرياً عليها إلا بعد أن توافق عليه
فرنسا وأن تطلق يد فرنسا في كافة
الامتيازات المتعلقة بسكك الحديد
والأراضي المجاورة لهذه السكك في أراضي
الامبراطورية كلها ، وأن يبقى امتياز توسيع
الموانئ السورية وهي بافا وحيفا وطرابلس

جمال

للرأسماليين الفرنسيين وحدهم . وأن تُعفى
جميع المباني والممتلكات والضياح التابعة
لمدارس الأديرة الفرنسية من كافة أنواع
الضرائب وأن تشتري الامبراطورية
العثمانية بالربيع المستحق علي القرض
سلاحاً يُشترط أن يكون مصنوعاً في فرنسا
وحدها »

أنور : واقتنعت أنهم أشرار ولهم أطماع ؟

جمال : هذا في مجال السياسة لكنني معجب
بالحضارة الفرنسية والثقافة الفرنسية

أنور : الفرنسيون استعمروا البلاد عن طريق
المدارس مدارس وبعثات ثم امتيازات
للمدارس ثم إيفاد الطلاب إلى فرنسا.
وعودة الطلاب مشبعين بالثقافة الفرنسية
وربما متحولين إلى مسيحيين. ثم حرص
فرنسا على حماية المسيحيين وهكذا

جمال : « أنا أتحدث عن الثقافة الثقافة كـلثير.

الشخص : ما رأيك بلامارتين ؟

جمال

: هو هوور . شاعر عظيم . من ينكر عظيمته
الشعرية ؟ هل أقرأ عليكم بعض أشعاره ؟

الشخص

: لا . لا داعي . أنا سأقرأ عليك شيئاً آخر
غير الشعر . في كتاب لامارتين ﴿ رحلة إلى
الشرق ﴾ يقول : أقترح تقسيم أجزاء
الامبراطورية العثمانية ، في حال سقوطها ،
وجعلها من نصيب الدول الأوربية . ثم
يقول : إن هذا الحق ، حق سيادة الأوربي
، يتيح للغرب الإقامة في هذه البلاد والنزول
في شواطئها لتقام عليها مدن حرة أو
مستعمرات أوربية أو مراكز تجارية حيث
تمارس كل سلطة حمايتها على كل بلد
بواسطة جيش له مهمة تمدينية . انتهى .
هذه هي المدنية التي يريدونها . يبدو أنك
لم تقرأ هذا الكلام للامارتين . »

جمال

: في الحقيقة أنا مهتم بالأدب فقط .

جوقة

: لكي لانضيع في التاريخ البعيد أو في
بطون الكتب تعالوا نسمع رأيهم وهم في

معزل عنا . "يمسك بممثل" هذا هو المستر
مارك سايكس : إنه النائب في مجلس
العموم البريطاني والمندوب السامي لشؤون
الشرق الأدنى في مصر . وسيكون ممثلاً
لوجهة النظر الإنكليزية في قصتنا أياً كان
الناطق بها . "يمسك بممثل آخر"
وسيكون معه بشكل دائم المسيو جورج
بيكو القنصل الفرنسي العام السابق في
بيروت . وبعد بيروت عُين مندوباً سامياً
لمتابعة شؤون الشرق الأدنى ولمفاوضة
الحكومة البريطانية حول مستقبل البلاد
العربية . نسمع الآن حوارهما . سايكس : أنا
لأفهمك يا صديقي . إنكم تبدوون اهتماماً
كبيراً في تعليم أبناء البلاد . لم المدارس
والبعثات التبشيرية ؟ هل تريدون نشر
العلم فعلاً بين هؤلاء العرب ؟

: بل نريد نشر اللغة الفرنسية .

: لماذا ؟ هل يستحق الأمر هذه الجهود
كلها ؟

بيكو

سايكس

: سأوضح لك طريقة تفكيرنا هؤلاء بدو
 جهلة وفيهم بورجوازية تريد أن تحتك
 بالعالم وأن تعلم أولادها لكي تظل متميزة
 عن محيطها نحن نحقق لهم هذا الاحتكاك
 وهذا التعلم ولكن على طريقتنا. هل تظن
 أننا نعلمهم صناعة الطائرات أو بناء السفن
 أو الميكانيك والتنقيب عن الثروات
 المعدنية؟ لا يا عزيزي قليل من الأدب
 وشيء من التاريخ وهو تاريخ فرنسا في
 أغلب الأحيان أنت تعرف جاذبية الأدب
 الفرنسي وأفكار الثورة الفرنسية ثم
 بعض الاختصاصات في الحقوق
 واللاهوت. حتى اللغة العربية ، لغتهم ، نحن
 ندرسها لهم وهذا يحقق الغاية المطلوبة.
 يحسون أنهم احتكوا بالحضارة وجلبوا
 الشهادات من أوروبا وصاروا يتحدثون
 بالفرنسية وهكذا يحققون تميزهم عن
 حوّلهم وكثيراً ما يحسون بالاحتقار
 لشعوبهم ويظنون يرون المثل الأعلى
 متحققاً في فرنسا أو في أي بلد أوروبي

ويضيق كثير منهم بالعيش في البلد الذي
يحتقرونه ولا يكونون مستعدين لإضاعة
الوقت مع شعب متخلف مثل هذا
الشعب.

سابكس : نحن نرسل جيشاً يفرض اللغة والاقتصاد
والسياسة المهم أن تصل الثروات إلينا
بأمان

يكو : بل نحن نهتم بما على الأرض وأنتم
تهتمون بما تحتها ولكن صدقني : إن أحد
العوامل الهامة التي تساعد على بقائكم في
الهند أن اللغة الإنكليزية صارت سائدة
فيها. أنت لاتقدر أهمية أن يفقد الشعب
لغته إنه يفقد معها هويته هكذا
ياصاحبي استطاع الأوربيون القضاء على
مقاومة الشعوب في أفريقيا وآسيا وفي
القارة الأمريكية أيضاً نحن لم ننس هذا
الدرس أبداً ولذلك نحن نريد أن نصنع
السكان الذين على الأرض وفق مصالحنا.
ألا ترى كيف يطالب السوريون بنا الآن ؟
أنتم لا يطالب بكم أحد

سابكس : والشريف حسين وشيوخ القبائل ؟

بيكو : هؤلاء كلهم يريدونكم لحمايتهم أو
لتحقيق مشاريعهم نحن وديعنا مختلف .
الذين يطالبون بنا يعتبروننا نحن مشروعهم .
تعال اسمع المثقفين العرب وهم الذين
يطالبوننا بالتدخل . في ١٥ آب ١٩١٤ مثلاً
تطوع خير الله خير الله ، الجيش
الفرنسي أتعرف من هو خير الله هذا ؟
هو مؤسس اللجنة اللبنانية في باريس
وبعد تطوعه وجه نداء إلى مواطنيه
للالتحاق مثله لخدمة قضية الحق والحرية
والمساعدة على خلاص بلادهم . وفي عام
١٩١٦ ، بعد نشوب الحرب ، كتب نادرة
مطران في كتاب " سورية الغد " . اقرأ لهم
يامسيو مطران

مطران أتشكّون في أن فرنسا قادرة وعادلة بما فيه
الكفاية لوضع كل واحد في مكانه ؟ إذاً
فما عليكم إلا تسهيل مهمتها أنتم الذين
تخبونها فلا تعيقوا مهمتها الخيرة بنقاشات

فارغة برهنوا لها أن حبكم لها هو حب فعلي وليس حباً أفلاطونياً هي من أعطتكم امتيازات الاستقلال. إنها لكم خير قادر على استخدامها بما يناسب تطوركم فاتركوا أنفسكم لقيادتها

برافو مسيو ندره برافو والآن نسمع مسيو نخلة مطران

بيكو

: وهناك أيضاً من السوريين حزب يعتقد حتى الآن بإمكانية استقلال سورية. وهناك من يريد إعادة بناء امبراطورية عربية غير أن من ينادي بهذه المشاريع ليسوا إلا المثقفين والمثاليين الذين لا يملكون أية ممارسة في الحياة السياسية كلا. إن السوريين الواعين ليس لديهم أي وهم حول إمكانية استقلالهم ولا حول مقدرتهم الذاتية لحماية ديمومة مثل هذه الحكومة المستقلة إن السوريين يعرفون جيداً ، رغم كل الإشاعات المتجنية ، أن فرنسا تحترم التقاليد الإسلامية في مستعمراتها التي تدين

نخلة

بالإسلام. وإنها أدخلت فيها نظاماً
مزدهراً تحسد عليه فإذا ما تحرروا عن
طريقها فإنهم سوف يكونون بكل تأكيد
أكثر سعادة

يكو : ميرسي مسيو مطران بقي أن أضيف أن
قدامى مؤسسي اللجنة اللبنانية أسسوا أيضاً
اللجنة المركزية السورية وكان لها هدف
واضح

واحد "يقراً" هدفنا ولنقل ذلك بكلمة واحدة
هو تحقيق انعتاق سورية تحت القيادة
الفرنسية.

جمال : لاتنسوا هذا الكلام كله حين تعودون
لمحاكمتي بعد قليل

الشخص : معك حق سنعود إلى المحاكمة

يكو : انتظروا لم أنه كلامي بعد قبل الحرب
العالمية الأولى التي نتحدث عنها كانت
الشركة التي بنت مرفأ بيروت شركة
فرنسية رأسمالها ١٤٧ مليون فرنك

وإدارات استثمار الماء والغاز والكهرباء
مشاريع فرنسية وخطوط السكك
الحديدية بين يافا والقدس وبين دمشق
وبيروت وبين حلب ورياق وبين دمشق
وحمص كلها مشاريع فرنسية . وقبل الحرب
كانت لفرنسا أكثر من مئة مؤسسة
للخدمات الاجتماعية (مصحات ، دور
يتامى ، دور عجزة) وأكثر من " ٢٢٠
"مؤسسة تعليمية حسب أرقام ١٩١٣
وتتضمن حوالي ٥٢ ألف طالب وقد بلغ
مجموع الاستثمارات الفرنسية في هذه
المنطقة ٣،٣ مليار فرنك فرنسي مقابل ٢٤
مليون جنيه لبريطانيا و ١،٨ مليار مارك
ألمانيا . والرئيس الفرنسي بوانكاريه مهتم
شخصيا بدعم موقف المسيحيين المعتمدين
على حماية فرنسا لمعارضتهم سياسة
المركزية والتريك إذا وضعنا هذه
المعلومات في اعتبارنا فهمنا حقيقة الموقف
الفرنسي من القرض الذي طلبه جمال باشا
باسم الامبراطورية العثمانية

سايكس : ذات إز رايت That's right الأتراك
يأخذون القروض من فرنسا ومنا نحن
الإنكليز ثم يعطون للألمان امتياز خط (بي
بي بي) يعني برلين - بيزنطة - بغداد
أثور : ولماذا تعلقون هذه الأهمية كلها على هذا
الخط ؟

سايكس : أولاً لانريد أن يصل الألمان إلى
الخليج. هذه نقطة هامة على طريق
الهنديا أنور باشا. الخليج يجب أن يظل
تحت نفوذنا.

أثور : لهذا دعمتم الشيخ مبارك الصباح ؟

سايكس : أول شروطنا عليه أن لا يمنح الألمان حق
الوصول إلى الخليج. وأن لا تكون للكويت
علائق مع أية حكومة أجنبية غيرنا مقابل
حمايته من كل اعتداء عليه من البحر. لقد
اتفقنا معكم حول كل شيء يا باشا. وهذه
الترتيبات تنطبق على الكويت والبحرين
وقطر ومسقط وعمان. والامبراطورية

وافقت على التنازل عن حقوقها في هذه
الأماكن

أنور : نحن مستعدون لأن نشترط على الألمان
عدم استخدام هذا الخط الحديدي لأغراض
عسكرية

مايكس : لا يكفي حين تقع الحرب لاستطيعون
منع الألمان كما أن هناك الأراضي
المجاورة للسكة الحديدية وهذه الأراضي
تعيننا

أنور : أوضح لي الأمر
مايكس : في هذه الأراضي ثروات لا نريد أن
يأخذها الألمان هناك المعادن والنفط

أنور : النفط ؟

مايكس : إنكم لا تهتمون الآن لهذا الأمر كثيراً
ولكن نحن لنا رأي آخر إن تشرشل ،
وزير بحريتنا ، يسعى لتحويل
الأسطول الإنكليزي كله نحو الاعتماد
على النفط وتستطيع أن تقدر خطورة

هذا الأمر بالنسبة لبريطانيا أقوى دولة
بحرية في العالم

: ولكن لم يثبت بعد أن في المنطقة نفطاً

أنور

: بل ثبت طالما أنه موجود في إيران فنحن
مهتمون بالمنطقة كلها اسمع ياباشا
ولكن واضحين إن بريطانيا قد
أقامت مصفاة للنفط في مصر
منذ ١٩١٢. وتشرشل أرسل إلى اللورد
فيشر قائد الأسطول البريطاني برقية
مختصرة سأقرأها عليك عزيزي فيشر

سايبكس

ماهو مطلوب من الأسطول الآن ، وفي
المدى المنظور ، هو ضمان وصول البترول
إلى بريطانيا العظمى رخيصة في حالة
السلم، مؤكداً في حالة الحرب التوقيع
ونستون تشرشل وأكد وزير خارجيتنا
إدوارد غراي في مذكرة إلى مجلس الوزراء
" إن سيادة بريطانيا في الخليج يجب أن
تكون مؤكدة فهذه السيادة تساوي تماماً
قوة الأسطول البريطاني وقوة هذا
الأسطول تعني قوة بريطانيا "

أنور " ينتحي بجمال جانباً يتآمران كطفلين
وهما يتضحكان " ألا ترى أن هؤلاء
الإنكليز مجانين ؟

جمال : منذ متى للنفط هذه القيمة كلها ؟

أنور لاشك أنه جرى لعقولهم شيء. لو كان
النفط موجوداً عندنا ، ولو كانت له هذه
القيمة فعلاً أما كان الألمان انتبهوا إليه ؟
عمرهم لم يأتوا على ذكره

جمال أنا أرى أن تأخذه على قد عقله
" يتابعان التهامس ضاحكين ثم يلتفت
أنور إلى سايكس " اسمع يا مستر سايكس.
سنعطيك امتياز التنقيب عن النفط
واستخراجه

سايكس : رأيت يا باشا ؟ الأمور متشابكة خليج
ونفط ومعادن آه صحيح نسيت
نقطة هامة جداً إن وجود سكة الحديد
في هذه المنطقة المتدة من بيزنطة إلى بغداد
سيشجع على استصلاح الأراضي وأعمال

الري ومد القنوات وهذا يعني إحياء الأرض المجاورة لسكة الحديد زراعياً.

: وما علاقتكم بهذه أيضاً ؟

أنور

: ما احتجاجكم إذا استصلحنا هذه الأراضي ؟

جمال

: ألا تعرف ماذا يعني استصلاح أراض تعتمد على نهريين كبيرين بالإضافة إلى روافدهما ؟ ألا تعرف أية محاصيل يمكن أن تعطىها منطقة كهذه ؟

سابكس

: سيفلني هذا الرجل

جمال

: لاتنفلق ياعزيزي . لاتنفلق قبل أن أوضح لك ماذا يعني لنا ذلك المحاصيل الوفيرة التي ستعطىها هذه المنطقة ستنافس بقوة منتجاتنا في الهند وربما نافست القطن المصري ذاته

سابكس

" يلتفت إلى جمال " هل اقتنعت الآن أنهم يريدون السيطرة على هذه المنطقة ؟

أنور

: اقتنعت

جمال

كما ترى يا باشا لم يبق لنا إلا الألمان
روسيا تعادي مسلمي أفغانستان وإيران
والإنكليز يحكمون سبعين مليون
مسلم في الهند وحدها إضافة إلى مسلمي
مصر وفرنسا تحكم مسلمي تونس
والجزائر ومراكش وإيطاليا تتحكم
بمسلمي ليبيا ألمانيا هي الدولة الوحيدة
التي لم تحتل شبراً واحداً من بلاد المسلمين
ولم تظهر لهم إلا الولاء.

: يجب أن نضرب الإنكليز في مصر وفي
الخليج "للحقوق" قبل الحرب كنت
أحكم الامبراطورية مع أنور باشا وطلعت
باشا نحن زعماء حزب الاتحاد والترقي
استلمنا الحكم بعد الانقلاب على السلطان
عبد الحميد من أجل إعادة الحياة الدستورية
إلى البلاد وبالنسبة لم أكن أتمنى أن
تدخل هذه الحرب ولكننا اضطررنا
لجأت إلينا غرناطينا ألمانيان هاريتان
من الإنكليز وطالبنا الإنكليز بتسليمهما
فلم نقبل لأن الألمان أصدقائنا فقط

بل لأن الطلب وقع وفيه تطاول على
سيادتنا كما أن الإنكليز امتنعوا عن
تسليمنا مدرعتين كنا قد دفعنا ثمن صنعهما
لنا وحين دخلنا الحرب أحس الإنكليز
بالمأزق الحقيقي ها هي الامبراطورية
الإسلامية تحاربهم وهذا يعني أن
جيوشهم التي تعتمد على المسلمين في مصر
والهند سوف تنقلب عليهم. كلفني بالمهمة
زميلي أنور باشا

أنور "ينتحي بجمال جانباً" تدل الأنباء الواردة
إلينا من سورية على وجود هياج في داخلية
البلاد إضافة إلى النشاط الكبير الذي
تقوده عصاة العرب ونظراً لهذه الظروف
أعتقد أن وطنيتك العالية تجعلك توافق
على قبول قيادة الجيش الرابع هناك

جمال : والمهمة ؟

أنور : مهاجمة الإنكليز في التربة والوصول إلى
مصر

- جمال : أقبل ولكن لدي شروطي
- أنور : ماهي ؟
- جمال : أن تُطلق يدي في البلاد. تكون لدي
الصلاحيات كاملة في سورية والحجاز دون
تدخل من أحد.
- أنور : موافقون
- جمال : وأن يُفتح اعتماد مالي بسبعة ملايين ليرة
ذهبية باسمي وتحت تصرفي
- أنور : هذا كثير ياباشا الميزانية لاتسمح
- جمال : لن تحدثني أنا عن الميزانية ياباشا إن
مخزون النقد في الامبراطورية الآن هو
أربعون مليون ليرة تركية ذهبية وهناك
ثلاثون مليوناً مطروحة للتداول
- أنور : نحن لم ندخل الحرب بعد . ولاتنس أن
جبهاتنا كثيرة وكبيرة
- جمال : ومواردنا لا بأس بها الألمان سيساعدون
كما وعدوا والحرب مبرر لفرض ضرائب
جديدة

أنور : لا أظن أن الأهالي سيحتملون ضرائب
أخرى فوق كل الضرائب التي يدفعونها

جمال : هل بدأت تشفق عليهم يا باشا ؟

أنور : ليست مسألة شفقة ، إنما....

جمال : مختصر الكلام يا باشا . عليك الآن أن تقرر
ما إذا كانت جبهة فلسطين تستحق سبعة
ملايين ليرة ذهبية أم لا تساوي

أنور : إنك تنسى أيضاً ديون الامبراطورية

جمال : أنا لم أنسها . أنتم نسيتموها . وإن
كانت الديون تزعجكم فلا تدخلوا هذه
الحرب

أنور : لكنني لم أفهم لماذا ستحتاج مبلغاً كبيراً
كهذا

جمال : لكل شيخ طريقته . أنا سأحتاج إلى المال
لشراء الناس

أنور : شراء الناس ؟ لماذا ؟ من أجل الحرب ؟

جمال : من أجل الحرب طبعاً

أنور

: إحتذر أن تذكر المال لهذا الغرض
أننا أعلنها جهادية ؟ المال سي
الناس ثوابهم

جمال

: لاتضحكني أنور باشا . هذا الكلام صالح
للصحف لكن الشعب الذي سنحارب
به لا يتقن القراءة وحين يبدأ الانكليز
بالدفع لأمرء البدو وزعماء العشائر قد
لا يجدون عندها الوقت للقراءة

أنور

: طيب طيب خلص كل شيء يخدم
شاربيك ولن تكون إلا راضياً

جمال

"للحوقة " وهكذا توجهت إلى سورية

أنور

: فإلى دمشق إذاً

الشخص

: دعونا الآن نعرف من هو جمال باشا
الذي جاءنا إلى سورية " يبدأ بالإعلان
عن أسماء الذين سيبدلون بشهاداتهم
فيتقدمون واحداً بعد الآخر ولا مانع
من أن يمثل كل ممثل أكثر من شخصية
ويكفي أن يغير قبعة أو يحمل سبحة أو يضع
شارباً وربما أحياناً دون إجراء أي تغيير

لينقدم متكلماً باسم الشخصية الجديدة
"بدا بتوماس إدوارد لورانس اختصاراً
ني إي لورانس أو كما سُمي في ما بعد
لورانس العرب

جمال ماذا يعرف عي لورانس هـ.ا.؟ عمري لم
ألتق به

الشخص أرجوك لاتدخل باباشا تفضل مسز
لورانس ستقول لنا ماذا كرتنه عنه في
كتابك "أعمدة الحكمة السبعة" تفضل.

لورانس كان أحمد جمال باشا ، هذا الرجل
الزكي المسيطر ، قد اختير ليقود الحملة
على مصر لتحريرها كان تفاصيله
بالعبارات الفخمة في خطبه وفي بلاغاته
يدل على "يتزد"

جولة : قل لاتزد ولا تجامل

لورانس : أحاف أن يزعل

جولة : ياسيدي فليزعل . ألم تذكر ذلك في
كتاب مطبوع تملوله الجميع ؟

جمال
ولماذا أزعج قل على ماذا تدل
عباراتي في خطي ؟

لورانس
بصراحة ؟ تدل على تفاهة باطنه وقد
تبين أنه قائد عادي متوسط الذكاء . وأنه
إداري ماهر نشيط وسياسي لين الجانب
وسريع الاختراع

جمال
لم يخدعني أحد إلا الأمير فيصل

الشخص
: قلنا : لا تدخل يا باشا

جمال
: طيب . طيب . لا تدخل

لورانس
" يكمل " وحين يشور غضبه ، وكثيراً
ما كان يشور ، يصبح مخلوقاً فظاً لا يتورع
عن شيء

جمال
" يضحك سعيداً " كانوا يسموني الغول .

الشخص
" يعلن " شكيب أرسلان أحد المقربين
إليه

شكيب
كان مستقلاً تمام الاستقلال في سورية
وكان الحزب التركي الطوراني مؤيداً له في
استطبول

جبار بطش بالخلق رجعت منه
القلوب. تعود أن لا يقف في وجهه أحد
"صاحكاً" غول

جمال

محمد كرد علي صديقه الكاتب
والصحفي

الشخص

كانت عده غمرة دينية وشعر إسلامي
في أحاديثه. لكنه كان في المسائل السياسية
لا يفقر دلة لأحد إذا حاد قيد شعرة
عن قانون الوطنية العثمانية وكان يقول
"بشمر إلى جمال"

كرد علي

لو أن ابني أتى أمراً لأغرقته في البحر حباً
بسلامة الدولة. ثم أبكي عليه لأنه ابني.

جمال

: خلوصي إليك وإلى سورية في الفترة
ذاتها

الشخص

: سفاح

خلوصي

: فقط ؟

الشخص

: فقط. ماذا تقول عن السفاح إلا أنه كان
سفاحاً ؟

خلوصي

"ضاحكاً" غول

جمال

متعجلاً لكي لا يترك لجمال الفرصة
لمزيد من التدخل "عزيز يسك ضابط
استخبارات تركي وصار في السنوات
الأخيرة من الحرب المسؤول الأول عن
الاستخبارات التركية

الشخص

كان جمال باشا نموذج الرجل التركي
العصري كان يتخيل نفسه عند انتقاله من
تركيا إلى سورية كأنه الاسكندر المكدوني
يحاول فتح البلاد العربية ذهب إلى سورية
وكانه سيفتحها مع أنها تابعة للدولة
العثمانية

عزيز

: "يدخل متفعلاً وهو يلوح بورقة في يده
"ابن الكلب كأنني خادم في مطبخه

أوهانس

: من أنت ؟

الشخص

أنا أوهانس باشا متصرف جبل لبنان
اسمع هذه البرقية التي أرسلها إلي جمال باشا
من دمشق. "اقرأ" متصرف جبل لبنان

أوهانس

نعال لمقابلتي عدداً في دمشق التوقيع قائد
الحيش الرابع

الشخص وهل حرت العادة أن يتم التحاطب
بطريقة أخرى في أيامكم ؟

أوهانس يخرج ورقة أخرى "اسمع كيف كان
زكي باشا يطلبي " يقرأ " حسرة صاحب
الدولة أوهانس باشا منصرف * ل لبنان .
أرجو أن تفضلوا بزيارتي في المقر العام
للمذاكرة في أمور هامة وإعلامي سلفاً
توعد قدمكم

جمال : " بضحك " أوهانس باشا حساس جداً .

أوهانس " كأنه فوجئ بوجوده " أنت هنا يا باشا
؟ " يتطلع إلى الآخرين . لا يريد أن يتراجع
نهائياً عن موقفه " لم أعتد أن يخاطبني أحد
بهذه الطريقة يا باشا

جمال على أية حال اعتبر نفسك معزولاً
سبحل محلك علي منيف بك

أوهانس : هذا أفضل أنا أقبل العزل ولا أقبل
الإهانة

جمال "بحزم" انتهينا كلمة أخرى تجعلني
لا أكتفي بالعزل

أوهانس مرتبكاً "أمرك يا باشا" ينسحب وهو
يربر "كأنه قادم لإهانتنا فقط

إهانة ؟ ماذا أقول أنا إذا ؟

اللياس الشخص ومن أنت ؟

اللياس أنا اللياس الحويك بطيريك الموارنة. هل
تعرف كيف استدعاني جمال باشا لمقابلته؟
لم يرسل البرقية إلي مباشرة بل إلى قائم
مقام جوييه برقية مختصرة اسمع إلى
قائم مقام جوييه أرسل فوراً حنة زوجة
طنوس من قرية الكفور واللياس حويك
بطيريك الموارنة

جمال "وقد أحس أن الجميع يتطلعون إليه
منتظرين تعليقه" المسألة واضحة. يجب أن
يعرف كل منهم قيمته الحقيقية هؤلاء
صغار أصفار أصفار لاقيمة لها نحن
الذين نعطيهم قيمة حين نشاء ونعيدهم إلى
حجومهم السابقة حين نشاء لقد

انتفخوا وتورموا في غياضا وماالذي
جمعهم يتحبون لأنفسهم هذه القيمة ؟
طنوا أن الامراطورية ضعيفة وأنها
مضطرة لمحاملتهم ونيل رضاهم لهذا
أعطاهم اسلحا الصغفاء امتيازات خاصة.
تصورو امتيازات خاصة للموارسة
ومتيازات خاصة لجبل لبنان ومثلها
للحجار.وبعدها امتيازات خاصة لجبل
الدروز. صار الجميع يتطلعون إلى
الاستقلال عنا وإلى معونة الدول الغربية
لقد غاب عن بالهم أنني أتابع الصحافة
الفرنسية صحيفة لومباتان أي الصباح
الفرنسية نشرت تأكيدا على لسانه حول
استعداد حملة آلاف مصلح من الموارنة في
لبنان للعمل مع الفرنسيين فور احتلال
الساحل اللبناني. لهذا أرسلت قوة تواجه
احتمال الإنزال في الشاطئ والغيت
الامتيازات الخاصة كلها. ولكنني وعدت
أهل جبل لبنان أن لاتزاد عليهم ضريبة
وأن لايكلفوا بالخدمة العسكرية " يقف

خطيباً" السلام عليكم يا أهل لبنان
 المعدودين من أئمن أجزاء الوطن
 العثماني. إنني أدعوكم إلى الالتفاف حول
 العرش العثماني للمدافعة عن الوطن المهدد
 بخطر غارات العدو الخارجي إن أحكام
 النظمات التي أحسنت بها الدولة عليكم
 لتأمين رفاهيتكم ستبقى محفوظة من حيث
 مبادئها الأساسية وإنني موكل بالمحافظة
 عليها وبصفتي أحد مواطنيكم العثمانيين
 فإنني أمل أن أرى اللبنانيين يقدرّون هذه
 النعمة حق قدرها فيرسمون لأنفسهم خطة
 تناسبها "ينزل عن المنصة المفترضة"

الشخص : ولكن هكذا تكسب عداء الناس يا باشا.

جمال : لا. هكذا أكسب طاعتهم. لا مبرر
 لمحاملتهم فأننا لم آت إلى هنا لأنهم
 انتخبوني جئت لكي أقودهم وأول
 أعبديات القيادة توفر الطاعة

الشخص : إنهم يحسون أنك تقف ضد كل ما
 ينفعهم

هل لا يمتنعهم شيء إلا الطاعة

الشخص ونحن بعض الإجراءات عادت عليهم
بانصر

جمال ماهي ؟ إلغاء امتيازات الموارنة وجيل
سنة ؟ كم دولة نحن هنا ؟

الشخص أقدم إغلاق المدارس والإرساليات
باباشا.

جمال مدرس وإرساليات تبشيرية فرنسية

الشخص مسيحية

جمال : بل فرنسية

الشخص طيب باباشا فرنسية ومدارس اللغة
العربية ؟

جمال ألم تعرف ماذا فعلت ؟ أمرت بفتح
مدرسة تجهيز في دمشق اسمها (المدرسة
الاستيطانية العربية). وستكون للتدريس
باللغة العربية هذا لكي أضع حدا لمن
يؤمنون أنا نريد نزعك العالم . مارأبك ؟
أليس يرضيهم هذا ؟ وأمرت أيضا بفتح

طريق من محطة الحجاز إلى سوق الحميدية.
حين ذهبت للصلاة في الجامع الأموي بعد
وصولي إلى دمشق خطرت لي هذه الفكرة.

الشخص بالمناسبة يا باشا أنت لم تُصل إلا تلك
الصلاة فور وصولك وأهل الشام

جمال لا تصرعني بأهل الشام هل توقعوا أن
يأتيهم من اسطنبول حاكم أم إمام جامع ؟

الشخص : ولكن الصلاة

جمال سأصلي سأصلي ألا الآن مشغول
هذا الشارع الجديد سينسبهم مراقبة
صلاتي.

جوقة : لا تستغرب منه هذا فرما كنت لا تعرف
أن خلفاء آل عثمان الذين يحكموننا باسم
الإسلام منذ أربعمئة سنة لم يود واحد
منهم فريضة الحج طوال التاريخ العثماني

جمال : هل ستحكمون سلاطين آل عثمان من
خلالي ؟

معك حق دعنا في الشارع .أأنت الذي
أمرت بتسميته (شارع جمال باشا) ؟

الشخص

بتواضع كاذب " أنا لذي الوقت لهذه
الأمور الصغيرة ؟ بعض من يقدررون
المعروف اقترحوا وأصروا على أن يسموه
باسمي قلت لهم إذا كنتم مصرين فلامانع
عندي هذه هي المسألة نسّم ماهذه
التفاهات التي تضيع وقتنا بها ؟ تعال
نتحدث مع الشباب . " للجوقة " ألم
أقرب إلي وجهاء البلد وخيرة متعلميها ؟
سمعتم طبعاً بعبد الرحمن الشهبندر وعبد
الغني العريس ومحمد كردعلي وعبد الكريم
الخليل بعد عودتهم إلى البلاد ساءحتهم
وقربتهم إلي اسألوهم

جمال

: أنا عبد الكريم الخليل . وسأقول لكم
أولاً لماذا عدنا إلى البلاد بعد إعلان
الحرب . نحن مواطنون عثمانيون وإن
حبنا لبلادنا هو الذي جعلنا نختلف مع
الحكومة ونشاعر عليها في ما مضى .
ولكن حبنا لبلادنا أبنا هو الذي يجعلنا

الخليل

ننسى خلافنا مع حكوماتنا حين تكون
بلادنا في حالة حرب. نعم. عدت وكتبت
ما يلي يقرأ "إن التدابير التي اضطرت
حكومتنا السننية إلى اتخاذها درءاً لخطر
الحرب العظمى تقضي على كل عثماني
مخلص لدولته وأمنه أن يبذل جهده في
سبيل تنفيذها على أحسن ما يرام
وسنكون مهمتي في سورية جمع كلمة
الأمة على شد أزr الحكومة والسعي لمنع
كل ما يُحتمل وقوعه من أسباب النفور
بين العناصر العثمانية وقد وعدتني
الحكومة أن تشد أزري في هذه المهمة
وتجيبني إلى كل المطالب العادلة التي أطلبها
منها باسم الأمة العربية أو باسم الأفراد من
أبنائها فلنكن كلنا يدًا واحدة لإنقاذ
الدولة من عواقب الحرب الأوربية وإظهار
الوحدة العثمانية بأتم مظاهرها لنتمكن من
منع اعتداء الدول الغربية علينا والخروج
من هذه الأزمة الحرجة أرفع شأنًا وأعلى
مقامًا.

: أنا أحمد مختار بينهم أحد زعماء بيروت
الإصلاحيين وعضو مؤتمر باريس . فور
إعلان الحرب ألفينا أحزابنا وتناصبنا
اختلافاتنا الداخلية لأن المصلحة المشتركة
تقضي بذلك . وسوف يرى أخواؤنا العرب
ولاسيما الاتحاديون من أعمالنا في هذه
الحرب ما يظهر لهم عظيم إخلاصنا للعرش
العثماني وتفانينا في خدمة الوطن المشترك .
ونحن الآن على أحسن مايرام مع الحكومة .

الجمعية

: إذا سمحوا لي أن ذكركم ببيان جمعية
العربية الفتاة بعد إعلان الحرب . ولاتنسى
أن هذه الجمعية كانت تمثل الرأي العام
العربي وتناضل من أجل تحقيق الآمال
العربية . وكانت تعتبر مصدر الشغب
الأول . بعد الحرب أصدرت الجمعية بياناً
جاء فيه : ينتج عن دخول تركيا الحرب
أن مصير الأجزاء العربية في الدولة بات
مهتماً بمخطر شديد . فيجب بذل أقصى
جهد لضمان تحررها واستقلالها . وقد
قرر في حالة ظهور مطامع أوربية في هذه

الأجزاء أنه ينبغي على الجمعية أن تعمل إلى
جانب تركيا في سبيل مقاومة النفوذ
الأجنبي مهما كان شكله

سليم : أنا العقيد سليم الجزائري . على الرغم
من كوني ضابطاً لعلاقة لي بالكتابة إلا
أنني ، ولعلمي بأن هناك من يأخذ برأيي
ويستمع إلى نصيحتي ، كتبت عن وجوب
مساعدة الحكومة الاتحادية بعد الاتفاق
معهما ووجوب الإخلاص لها

عمصاني : أنا أحمد الحمصاني . كنت هارباً إلى
مصر . وقد رفضت البقاء هناك بعد إعلان
التعبئة العامة سفربرلك لأنه من الخيانة أن
لا يقوم الإنسان بواجبه في الموقف العسير .

جمال : لماذا هذا الاستعراض كله ؟

الشخص : لأنك أعلمت هؤلاء كلهم .

جمال : ظروف الحرب . كان الشريف حسين قد
قام بثورته ...

الشخص : لا تكمل . قامت الثورة بعد إعدامهم .

جل : أنا جئت بنية حسنة . أعجبتني مواقفهم
التي يذكرونها الآن . ولذلك قربتهم مني .

مخليل : لماذا قربتنا ؟

جل : أنا حاكم وبهمني أن أتفاهم مع شعبي .
لم أبخل على أحد بشيء .

مخليل : كنت تريد أن تشري أتباعاً أنت قلت
ذلك لأنور .

جل : لا يا عبد الكريم . لا تصغر نفسك .

الأتباع شيء آخر . الذين كنت أدفع لهم
بهذه الطريقة هم القضايات والبلطجية
ورجال الخفية . القضايات وخدمهم كنت
أدفع لهم خمسة ليرة كل شهر . أنتم
شيء آخر . كنت أريد أن تتعاونوا
معي لكي نحكم البلد معاً .

مخليل : كنت تريد أن تمارس جوروتك باسمنا . لم
نكن في أية لحظة ترانا إلا أتباعاً يركضون
وراء رضائك .

جدة : لماذا لا تكمل سماع شهادات الشهود ؟
"للشخص" هل بقي أحد ؟

- الشخص : نعم . نسمع الآن شهادة يوسف الحكيم
الذي كان يعرفه معرفة شخصية
- الحكيم : " يتقدم " اشتهر جمال باشا بالحزم والشدة
وقوة الإرادة منذ كان والياً على أضنة بعد
النكبة التي أصابها باقتال العنصرين
الأرمني والكردي .
- اصطفان : هل الأرمني والتركي . كنسا نعيش مع
الأكراد منذ مئات السنين . والأترك هم
الذين حاربونا بواسطة الأكراد . هم الذين
سلحواهم وأطلقوهم علينا
- جمال : وما الفرق ؟
- الشخص : " للحكيم " السيد يوسف الحكيم .
أكمل لو سمحت .
- الحكيم : وطد جمال باشا الأمن بإجراءاته الحازمة
وقام بإصلاحات جمّة . ولكنه حين جاء إلى
سورية كان شر خلف لخبر سلف
أقصد زكي باشا . وظهرت على يد جمال
باشا نقمة السلطنة التركية على العنصر
العربي . وصار اسمه السفاح الداغستاني
الكبير .

: " ضاحكاً " غول

جمال

: " يعلن بسرعة ليمنع جمال من المقاطعة "

الشخص

هنري مورغنتو سفير الولايات المتحدة في
اسطنبول

لم يكن جمال باشا محبوباً من سكان
العاصمة لقسوته وسفكه للدماء . فحين
عُيِّن حاكماً لاسطنبول حكم على
ثلاثة عشر شخصاً من نخبة رجال تركيا
بالإعدام في يوم واحد .

مورغنتو

: لا تنس أنني أعلمت أحد أقارب السلطان .
ولم أستمع حتى لتدخل السلطان نفسه .

جمال

: نعم . نفى وسجن وأعدم . وكان يعتبر
أن الإعدام من واجباته اليومية وجزء من
طبيعة عمله . وهو يجمع الشراسة والقوة .
فلما فكر أحد أن يرى فيه لطفاً وإنساناً .

مورغنتو

: " يتنحى للكان وهي تصرخ " ألا ترون
محالاً لغوكم أن يقول كلمة ؟ " لمورغنتو
" ما أدراك أنه لم يكن هناك من يرى فيه
لطفاً وإنساناً ؟ سألتني أنا .

الهم

- الشخص : ومن أنت ؟
- المدام : لا . هذه ستكون فضيحة فقد يكون أحفادي حاضرين هنا
- الشخص : نكتفي بالقول إنها إحدى سيدات الصالونات في دمشق أو بيروت أو القدس .
- المدام : كان الباشا يزورني مع صديقاته . " تركض لاستقباله فيما هو يتقدم بكياسة مفاجئة وقد تَهبط ذراع صديقه الآخرين ينسحبون " أهلا بالباشا . يامرحبا شرفتم ونورتم .
- جمال : تعرفين صديقتي مدام فيكتوريا
- المدام : يامرحبا . يامرحبا .
- جمال : قلت لفيفكتوريا إن هذا أفضل مكان نسمع فيه للموسيقى وتبادل الأحاديث .
- المدام : يامرحبا . بيتكم ياباشا .

- فيكوريا : ياها . بيتك رائع بامدام
- للمم : هذا من لطفك ياعزيزتي . الحقيقة إن الباشا فاجأني . فانا لم أرتب البيت جيداً بعد .
- جد : كانت المدام في باريس . " للمم " عرفت أنك جئت يوم أمس .
- للمم : إنك تعرف كل شيء ياهاشا .
- فيكوريا : أغبطك ياعزيزتي . باريس رائعة . كم قضيت فيها؟
- للمم : عشرة أيام فقط .
- فيكوريا : هل تسوقت هناك ؟
- جد : " ضاحكاً " ولماذا تنهب السيدات إلى باريس إذا ؟
- للمم : الحقيقة أن الأزياء الباريسية لا تُحارى .
- فيكوريا : أنا لا أستطيع أن ألبس إلا من باريس . و"فوسيه" و"هاكان" بالتحديد .
- للمم : ظهرت هذه السنة موضة جديدة بعد فوسيه وهاكان . هناك الآن الرهد فورم .

- جمال
المدام كان يجب أن تسألني عن كالوت
لم أجد وقتاً يا باشا. كلما قلت أريد أن
أرى هذا الشيء أو ذاك قالوا لي يحتاج إلى
وقت طويل .
- جمال
وعدوني في الزيارة القادمة أن أرى اللوفر
وكل الموضات الجديدة .
- جمال : اللوفر يا مدام ؟ أنا أحدثك عن الموضة
. هناك كالوت وبواريه .
- فيكتوريا : الباشا متابع جيد للموضة
- جمال : بعد أن ينتهي هذا الحصار البحري
سأرسلك في زيارة خاصة إلى باريس مع
توصية لأصدقائنا .
- فيكتوريا : أخشى أن تطول هذه الحرب . لا يبدو
عليها أنها ستنتهي بسرعة .
- جمال : سأنهاها فور الهجوم على القناة بعد أقل
من شهرين ستكونين في باريس ومعك
توصياتي .

نعم : التي نذهب إلى باريس نحتاج إلى " أرحان " أقصد المال ولا نحتاج إلى توصيات .

جل : لن ينقصها شيء .

ليكوريا : ألن ترافقني يا باشا ؟

جل : أرحو أن أمكن من ذلك . ولكن أخشى أنني سأكون مشغولاً بترتيب الأمور في مصر . على أية حال قد أكون بانتظارك في الإسكندرية .

ليكوريا : هاي . أموت في الإسكندرية .

نعم : لاتسي حوّن تلهيون إلى باريس أن تسالي عن قبعات لويس لو سوزان .

جل : لا . لا . القبعات الأفضل الآن هي قبعات تلبو .

ليكوريا : قبل القبعات أريد موعداً محدداً . سأكلم صديقاتي ولا أريد أن يظنني الباشا في آخر لحظة بأنه مشغول .

جمال : وما الذي يشغلني عنك يا حبيبي ؟ ماذا
لدي غير هذه الحرب ؟

ليكتوريا : قل لي بوضوح متى نخلصنا من غلاطات
هؤلاء الإنكليز لكي يخلو لنا الجو وأستطيع
أن أراك حين أشاء وأن أسافر على
راحتي.

جمال : ألا تستطيعين الانتظار حتى شباط ؟ في
أوائل شباط سأبدأ هجومي . كم تظنين
سيستطيع هؤلاء الإنكليز أن يصمدوا
أمامي ؟

ليكتوريا : فشروا

جولة : هل لاحظتم أنه قال لها أسرار الحرب
كلها ؟

جولة : كان محاطاً بالنساء دائماً وكان بينهن
جاسوسات . " جمال ومرافقته يستمرون
في الحديث دون أن يسمعه . جرس الباب
يقرع . "

الملك : حظكم جيد . أرسلت في طلب حلويات
من كافيه قروييه .

جد

كلي الحلويات أنت وفكتوريا . أنا
سأخذ كأس عرق وأسمع موسيقى .

مدم

كنت قد هبات لك زجاجة من الخمرة
الفرنسية الفاخرة التي نحبها ياهاشا .

جد

شكراً يامدام . الخمرة الفرنسية لا تقاوم
فعلاً .

مدم

: على عيني . سأحضر لكل منا كأساً .
مدام فكتوريا . الأسطوانات عندك .
انتقي أنت والهاشا ما نحبان أن نسمعا .
موسيقى ناعمة جو حالم . يقطعه صوت
الشخص .

الشخص

: مالنا ولهذا الاستطراء؟

مدم

: أنا كنت أعرفكم على جانب آخر من
شخصيته : الرجل المحتلمان يحب للموسيقى
وللتحدث الظريف ومتابع للوضة .

جد

: الحقيقة إتني كنت متابعاً لهذه المسائل من
أجل خلق جو مع النساء . صحيح أنني
أستطيع ببطونتي وجاهي أن أقتصر أية
امرأة ، ولكن حين نحس أن المرأة راغبة

فيك دون اعتبار لمركزك وسطوتك تكون
الأمور أفضل وأكثر إمتاعاً يعني تحدث
هذه عن الموضة وتلك عن القبعات وأخرى
عن العطور . أليس أفضل من التحدث معها
عن الجنود والحرب والسلطة ؟

جولة ولكنها أحيرتك على الحديث عن
الحرب.

جمال أنا لا يجبرني أحد على شيء . وأنا
أتحدث دائماً كما يحلو لي .

جولة : وماذا لو كانت جاسوسة ؟

جمال "ضاحكاً" ولتكن جاسوسة أليست
جميلة ؟ أليست أفضل من الوطنيات
الشرقيات القبيحات ؟

الشخص : شكراً . هنا يكفي . دعونا نكمل تعرفنا
على جمال باشا . دور من الآن ؟

مورغنتو : أنا .

الشخص : ألم تنته بعد ؟

بقيت لدي بعض الكلمات كانت له
نظرة حادة إذا نظر اخنوق الصدور
بنظرته . وكانت ضحكته ممزوجة بشيء
من المعاني الوحشية .

مورخو

" يضحك مستهزأ " غول .

جل

أنا محمد عزة دروزة . رأيته مرة عن
قرب . كان قصير القامة . لا يتجاوز
الأربعين أرخى ذقنا ولبس قليبا .
عبوس الوجه . صارم التقاطيع .

دروزة

حسب معلوماتنا لم يستطع أنور باشا
رطلعت باشا إخضاعه . وكان طموحه
يلدعه للاختلاف معهما . وهو يكره كل
الشعوب غير التركية كالعرب ، مسلمين
ومسيحيين ، وكالأرمن واليهود
والشراكس واليونان .

مورخو

: هل من تعليق يا أنور باشا ؟

الشخص

كان الديكتاتور المطلق في شؤون آسيا
الصغرى وسورية . حين جاءني الجنرال
فالكوهاين لرتيب أمور سورية قال :

أنور

الجنرال

إننا معنيون بوجود رجل قوي يُخضع
سورية تمام الخضوع ويقضي على الأفكار
العربية والغربية . ويكون ذا كفاءة وقادراً
على تنفيذ حملة السويس

أنور

: المعروف عن جمال باشا ، إضافة إلى قوة
العزيمة والشدة والكره للعرب ، أنه قاسي
الطبع يميل بالفطرة إلى الأذى وسفك
الدم

جمال

: " يضحك " غول

أنور

: شديد الاعتداد بنفسه لا يعنى عهداً
ولا ذمة . وقد زادت السلطة غروراً
وإعجاباً بمقدرته . وكنا نشك أنه
لا يحب حلفاءنا الألمان

جمال

: كنت واثقاً أن هذه البلاد ستحول إلى
مستعمرة ألمانية لو أننا انتصرنا في الحرب

أنور

: وكان أكثر ميلاً إلى الفرنسيين

جمال

طبعاً . الفرنسيون متحضرون يكفيهم
موقفهم من المرأة . نحن جميعاً نحب
الفرنسيين . ونرأهم نموذجاً للغرب

المتحضر. وكل من يريد التظاهر بالتمدن يتحدث بالفرنسية . ونحن نسمي كل متحضر افرنجى . وهي تحوير لكلمة افرنسي . وكل شيء افرنجى يكون برنجى . حتى نساء الفناوات والبيكوات وكبار الضباط يذهبون إلى باريس لجلب آجر المروضات الباريسية من القبعات والملابس والتسريحات .

الشخص : أراك تعلق أهمية كبيرة على المرأة .

دروزة : اصح لي بكلمة قبل أن يجيب .

الشخص : تفضل يا سيد دروزة .

دروزة : سمح للنساء بدخول للقاهي والملاهي وحضور تمثيل الروايات والرقص والغناء ومناظر السينما .

جن : طبعاً . إتني مفتتح تماماً أن عمر الوسائل وأسرعها لنشر عواماً التمدنين في أي بلد لا يتأخر إلا عن طريق المرأة . وإن الشعوب التي تفني نساءها في حالة العبودية

والاسترقاق إنما تخطر خطوات واسعة في
سبيل الانحلال الذي لا مفر منه

جوقة : كان مرقفك هذا معروفاً منذ أن عُينت
حاكماً عسكرياً للأستانة بدأت بالنفي
منذ ذلك الحين .

جمال : ما فعلته في الأستانة كان أمراً مشروعاً
وضرورياً وقد ذكرته في مذكراتي لأنني
لست خجلاً منه " يحكي للآخرين " كان
في الأستانة عدد من الناس تمكنت من
نفوسهم تلك العادة الخبيثة ، عادة إبداء
نظرات غرامية للسيدات المسلمات كلما
مررن بهن في المنتزهات أو في الطرق
والأسواق . " ضحكات من الموجودين .
ينظر جمال إليهم بحدة فيسكتون "
فأصدرت منشوراً هددت فيه الرجال الذين
يستعملون ألفاظاً مخجلة للنساء أو الذين
يضاهقون النساء بالنفي خارج البلاد .

الشخص " مستغراً " نفي من أجل هذا ؟

جد
طبعاً هذه أول خطوة اتخذتها في سبيل
وضع تحرير المرأة التركية على أسس ثابتة.
لكي تتحرر المرأة يجب أن تخرج من بيتها.
وإذا لم تكن آمنة لن تخرج مرة أخرى . في
فرنسا لا يضايقون المرأة حين تسمو في
الشوارع

المقصود
جد
: تعني أنهم لا يغازلون النساء في فرنسا ؟
: يغازلون . لكنهم لا يضايقون النساء .
لا يحملون شهواتهم إلى حصار يخنق المرأة
ويوق حركتها .

المقصود
: ولكن الذي يضايق المرأة في باريس
لأنهم عليه بالنفي .

جد
: دعوني أوضح لكم رأيي في مسألة النفي
ولنته من هذا الموضوع نهائياً . لقد
أصدرت أوامر بالنفي لأسباب مختلفة :
الذين يضايقون النساء والذين لم يقبلوا
التعامل بالعملة الورقية في الحرب . كما
نفت أسر للمشاهير الذين حكمت
بإعدامهم . لدى قرائتي للأساطير اليونانية

لفتت نظري المعركة التي جرت بين هرقل
والسيون. لم يكن هرقل يستطيع التغلب
على السيون، على الرغم من قوته ، لأن
السيون كان يستمد قوته من الأرض .
فكان لابد من رفعه عن الأرض لتجريده
من مصدر قوته . وهكذا رفعه هرقل بين
ذراعيه فاستطاع أن يكسر ظهره . الإنسان
إذا مثل الشجرة يجب اقتلاعه من الأرض
من أجل التغلب عليه . " يضحك " وبعد أن
تقتلع الشجرة يجب أن تمنعها من العودة إلى
النمو إما أن ترفعها وتبقيها معلقة بالحبل،
أي أن تشنقها ، وإما أن تلقيها بعيداً عن
أرضها . أي تنفيها . " معجباً بنفسه "
هذه النظرية كوتتها لنفسه من خلال
مطالعاتي باللغة الفرنسية .

الشخص : وطبقت هذا كله خلال حكمك في
دمشق .

جولة : دعونا نذهب معه إلى دمشق .

"هاتفاً" إلى دمشق . يجب أن تكون
 الغرفة المحاذية في استقبالي "يمشي لي
 جو احتفالي وإلى جانبه حاشية تسير معه .
 أشعاع حسنو المظهر يقزبون ويسلمون
 عليه . بعضهم يقبل بده النعساني يعتلي
 مرتفعاً ويتكلم بصوت مرتفع ."

جل

النعساني : يا باشا . يا باشا . هل تسمح لي بقراءة
 هذه القصيدة ؟ " جمال يشر برأسه
 بالموافقة . النعساني يقرأ " :

| | |
|------------------------|----------------------------|
| قد غر ش كت له دله | وعزت جوع كت لهن دالدا |
| ظلم لود اليوم لولع همة | واظلم اكودا واكرم حاشدا |
| واظهر املا وامنى سريرة | والحجب مولودا واكرم والددا |
| دكت على عليك لهن لومني | ولهي ولكري والاقوال الشردا |

جل : "الذي كان يستمع دون اهتمام كبير لأنه
 لا يفهم شيئاً ما يقال يتطلع إلى من بجانبه "
 جميل ؟

حكوي : جميل يا باشا . وهذا شاعر كبير . أنه بدر
 النعمن النعساني . وأنت تعرف ما يعنيه

الشعر للعرب . رائع أنهم يستقبلونك
بالشعر .

جمال : ماذا يجب أن أفعل في هذه الحالة ؟
شكري : يجب أن تعطيه مكافأة . ربما كان حسناً
من عظيمتكم أن تعطوه امتياز جريدة .
الجرائد ، الآن ، تلعب دوراً كبيراً يا باشا .
جمال : طبعاً . طبعاً . الجرائد في باريس خطيرة .
" بشر يا صبيحه للنعماني فيتقدم منه . " ما
رأيتك لو نعطيك امتياز إصدار جريدة ؟
النعماني : أشكر فضلكم يا باشا .

جمال : ماذا سنسميها ؟ " يفكر وحده قليلاً "
الشرقي . سنسميها الشرقي . ما رأيك ؟

النعماني : عظيم يا باشا .

جمال : " يتركه ويستعرض دركاً يقفون
باستعداد " أين الخطاط ؟

الخطاط : " يتلفع " تحت أمرك يا باشا .

جلد " يشرح له مستعيناً بالتركي " ضع لي
وشاحاً أحمر على الصدر وشریطاً أخضر
على الكتف .

مهدد كما تشاء يا صاحب العظيمة .

حكوي : ولكن يا باشا ليس في الدنيا كلها درك
يلبسون ملابس كهذه .

جلد : يجب أن يكونوا مختلفين عن درك الدنيا
كلهم . هؤلاء درك جمال باشا . يجب أن
يعرفهم كل من يراهم . سيظهر المصريون
منظرهم وهم يتحولون في شوارع القاهرة .
" يضحك باعتزاز " . " مترو هذه الحملة رداً
على حملة إبراهيم باشا إلى سورية . هذه
للمرة أنا الذي سأفتح مصر .

حكوي : إن شاء الله يا باشا . هزاز القاوق يؤكد
ذلك يا صاحب العظيمة .

جلد : هزاز القاوق . أين هو ؟ " يدعبل
مشعوز في هيئة خاصة " .

مردد : تحت أرك يا باشا .

هيات لنرى . " هزاز القاووق يخرج
قلماً وورقة ويحسب . " ماذا تحسب ؟

جمال

هذا شغلنا ياباشا . لكل حرف في
الأبجدية رقمه . ولكل رقم حرفه . مثلاً
ياباشا ٨ ، ٧ ، ٦ تعني باسم الله . نبداً الآن
باسم الله . " يقوم بحركات وخزعات
أخرى ثم يتوجه بالكلام للباشا " نحن
الآن في أواخر عام ١٩١٤ أي في ١٣٣٢
هجريه . وقد تبين لي ، والعلم عند الله ،
أنكم ستفتحون مصر " تهليل "

هزاز

متى ؟

جمال

ستفتحون مصر . السين والتاء والفاء "
يكمل حساباته " هذه العبارة تقابل
١٣٣٤ هجرية وهذا يعني ١٩١٦ ميلادية
" يهتفون مهللين "

هزاز

: قاووقك مبشر بالخمر . سنحتاج
الاستعدادات للحملة بعض الوقت . إلى أن
يتمكن باشوات الإيالات من جمع ما يكفي
من الجنود . يعني سنشن الحرب في لوائل

جمال

العام المقبل وسنحتاج بعض الوقت ، نحن
وأخواننا المصريين ، لكي نتمكن من طرد
الإنكليز نهائياً . قد يستغرق هذا طوال عام
١٩١٥

هزلي : نصرك الله يا صاحب العظيمة .

شكري : ولكن ياهاشا منذ إعلان الدولة العلية عن
دخولها الحرب أقفل الحلفاء سفاراتهم
ورحل قناصلها .

جاني : كلهم ؟

شكري : كلهم . وأحرقوا وثائقهم أيضاً . طوال
يومين لم تكن ترى في بيروت والقلمس
ودمشق إلا الدخان المتصاعد من
السفارات . الوحيد الذي خرج بما يشبه
التظاهرة هو مسيو بيكو سفير فرنسا .
بلفت الجميع إلى بيكو وكانهم يودعونهم .

بيكو : " بلوح لهم بلبه مطمئناً " لا تقلقوا .
لا تقلقوا . راجعون . لا تقولوا وداعاً . بل
قولوا إلى اللقاء . إلى اللقاء بعد خمسة عشر
يوماً .

ماذا يعني ؟

جمال

راجعون بعد خمسة عشر يوماً

شكري

فهمت ماذا يعني . الفرنسيون سيحاولون
النزول في شواطئ لبنان بعد خمسة عشر
يوماً . فليعودوا سيحدثوني بانتظارهم
اسمعوا . امنعوا رعايا الدول المتحالفة من
مغادرة البلاد . سنحتفظ بهم رهائن . أعلن
بلاغاً صادراً عن عظمتنا : إذا هاجمت
الدول المتحالفة شواطئ سورية أو قصفت
اسطمبول فلنني ساعلم هذه الرهائن .
الخطوة التالية : اقتحموا القنصليات
وفتشوها .

: اقتحمناها ياباشا . ووجدنا هذه الوثائق
في السفارة الأمريكية .

خلوصي

: الأمريكية ؟ مالنا وللأمريكيين يا
خلوصي باشا ؟ إنهم لم يدخلوا الحرب .

جمال

: إنها وثائق تخص الفرنسيين ياباشا .

خلوصي

: الفرنسيون . آه من هؤلاء الفرنسيين .
كم تمنيت لو لم اضطر لحاربتهم . ولكن

جمال

لماذا لم يحرقوا وثائقهم مثل غيرهم ؟ هذا
يعني أنهم ياملون فعلا بالعودة بعد أيام .
مالذي في هذه الوثائق ؟

علمي أسماء الشخصيات والزعماء المحليين الذين
كانوا على اتصال بالسفارة ومعلومات
جمعتها السفارة نفسها عن المشايخين عندنا .
إضافة إلى عرائض موقعة من شخصيات
معروفة تطلب حماية فرنسا .

جان : أين هي ؟ هاتها . " يأخذها " بإسلام .
يأعني الفرنسيون والعون . والعون حتى
وهم أعدوك . كنت واثقا من أنني لابد أن
أستفيد من الفرنسيين شيئا ما . تصور
يا علمي . تركوا لي كسفا بأعدائي . أليس
هنا رافعا يا علمي ؟ " يعيدها له " خذ .
احتفظ بها .

علمي : هل نعتقل من وردت أسماءهم فيها
ياهاشا ؟

جان : لا يا علمي . لا . ليس الآن . لا أريد أن
أكسب علوة الناس بهذه السرعة . احتفظ

الوثائق في مكان آمن . سيأتي وقتها في ما
بعد أرسلوا قوات احتياطية إلى لبنان
والشواطئ السورية "يعتلي مكانا ليوقف
خطيبا " إن البرنامج الذي عقد حزبا ،
حزب الاتحاد والتزقي ، عزمه على تنفيذه
لإصلاح حال العرب لأوسع مما يخطر
ببالكم وخاصة بعد أن خلصكم الحزب من
السلطان عبد الحميد وطفيانه وتخلفه
واليوم وبعد الخلاص من الطاغية أراني
قادرا على أن أؤكد لكم أن الأمانى
التركية والأمانى العربية لاتعارضان
فالترك والعرب ليسوا سوى أخوان في
غايتهم الوطنية . وربما أكمل بعضهم
جهود بعض تحت راية الإسلام . وإن
الدولة العلية هي التي ترأف بكم وتنقذكم
من الأجناب الذين يأتون إليكم بحجة
حمايتكم والدفاع عن حقوقكم
واستقلالكم . لكنهم ، في الحقيقة ، يمتصون
دماءكم ويقضون على كرامة نفوسكم .
فلا تصلقوهم . ولا تلتفتوا إليهم . وأطيعوا

أمكم وفوائدها تعيشوا بسلام وتعمموا
بالسعادة والطمأنينة وكما قال رسول
الله (ص) الجنة تحت أقدام الأمهات

أحنوا الرؤوس وطأطأوا الهامات هذا
جمال مفرج الكربات شعر

حفل : أملاً بناظر الحرية وقاله الجيش
الرابع عظمتمو جمال باشا في مدرسة
الضباط الاحتياط العرب عريف

: أيها الشباب العرب . اعملوا على ترقية
للعرب والعروبة وحدثوا مدنيتكم . وإنني
لست لأرجو شراً من بقاء العرب والترك
متحدتين وخاضعتين لخليفة واحد . بل أخاف
من انفصال أحدهما عن الآخر كشعبين
مستقلين . يجب علينا أن نعمل كثيراً
لإفراك هذه القافية . وإن غرض رجال
حزب تركيا الفتاة هو إيقاف الشعور
الوطني في الأمة التركية وتدريب مواطنيهم
على العمل ونحريهم من الفكر السلطاني
وتقويهم . والشعب للعربي والترك

مقضي عليهما بالفناء منذ اللحظة التي
يتخاذلان فيها

شاعر
فليطمئن ناظر الحريية المعظم . نحن
جميعاً أتراك ولجاهد معنا تحت راية الإسلام
لإعلاء كلمة الدولة العلية والأمة التركية
أما العرب فيعرفون أن لا خلاص لهم إلا
بأمهم تركيا وذلك لأن عزهم قد ولى ولن
تقوم لهم قائمة إلا بالتشبيث بالأمة الفنية
الأقوى : الأمة التركية . وبأن يصبروا
كلهم أتراكاً . لأن العرب كما قال
الشاعر

حضارتهم ماتت كاني لاكرها
بحر ، عرفت النار بهد توهم

جمال صديق العرب لا شد لأزهم
وانقلهم من كل ضيق ومازيم

" الغضب واضح على الجوقة التي تمثل الآن
العناصر العربية . "

جاء
أنتم تعرفون أن صداقتنا لكم وعطفنا
عليكم بعد زوال بحدكم ما كان ممكناً لو
ظل عبد الحميد يحكمنا جميعاً بعقليته
المتخلفة التي تعرفونها

جولة
"بتقدم بشكل استفزازي ويلقي الشعر
كأنه في مظاهرة"
كان عبد الحميد بالأمس لوداً

فلما اليوم ألف عبد الحميد

جولة

نحن جند الله شبان البلاد
نكره اللذون والاضطهاد
يا بني عسى وبها لحد الشرى
قام سوق الحرب في كل الورد
فرغوا الأعلام واحشوا في الجهاد
إن أصدنا لـمـاحوا في القرد
فرغوا الأعلام واحشوا كي نرى
مهلككم يلعب ما بين المحرور

جمال
"ينهض مستفزاً" كفى. كفى أخلوا
القاعة "يخرجون" العمى ما هذا
النشيد؟ شعرت أن السقف يكاد يطير من
فوق يريدون أن يتحدوني يا شكري؟

شكري
نعم يا باشا . إنهم يتحدونك . ويؤكدون
أنهم عرب فقط . ولا يريدون الاستمرار في
ظل الخلافة ألم تسمع باستقالة سليمان
البستاني ؟

جمال
استقال ؟

شكري
نعم يا باشا .

جمال
: وما هو المنصب الذي استقال منه ؟

شكري
كان نائباً عن بيروت . ثم صار وزيراً
وقد استقال احتجاجاً على دخولنا الحرب.

جمال
: وهل كان ينتظر منا أن نستشيرهُ ؟ من
هو البستاني هنا ؟ ماذا يفعل ؟ هل يفهم ؟

شكري
: لانعرف عنه إلا أنه مترجم الإلياذة إلى
الشعر العر

جل ترجم الإلياذة ؟ عن أية لغة ؟ هل ترجمها
عن الإفرنسية ؟ هل يفهم إلى هذه الدرجة ؟

لا أعلم باباشا

شكري

جل يستحيل أن يكون قد ترجمها عن
الإفرنسية أتعرف لماذا ؟ لأن الإفرنسية
تهذب من يتعلمها لكن هذا الرجل
مثل هؤلاء الزعران همحي مثلهم . همج
ويتحلون إرادتي .

شكري : وهناك حركة شغب واسعة في البلاد
باباشا .

جل : أعرف . أعرف . وما الحل الذي تراه
باشكري ؟

شكري : الحل كما قال الجعوني باباشا

جل : ماذا قال ؟

شكري : قال عن هؤلاء ومن يشبههم : " يقرأ"
ولقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين بسوء
العملهم وعدم دياتهم وغفائتهم وأضرلهم
لبعضهم ... سلط عليهم من لايرحمهم .

فإذا التزم بهم ذو رحمة ازدروه في أعينهم
 واستهانوا به وبخدمه ومطلوه في الخراج .
 وسموه بأسماء النساء وتمنوا زوال التزامهم به
 وولاية غيره من الجبارين الذين لا يخافون
 ربهم ولا يرحمهم لينالوا بذلك أغراضهم
 برصول الأذى لبعضهم.

جمال كفى . كفى . لست في حاجة إلى شواهد
 تاريخية . لكنني أعرف متى يجب أن أكشر
 لهم عن أنيائي وأريهم الغول الحقيقي .
 اكتب يا شكري . " يجلس شكري للكتابة "
 قرار بإلغاء مدرسة الضباط الاحتياط
 العرب . قرار ثان بتوزيع الضباط
 للموجودين على ميادين القتال في الدردنيل
 والقفقاس . ماذا قال الحجاج لأهل الكوفة
 في تلك الخطبة التي حكيت لي عنها ؟

شكري : قال : إني والله لأيققع لي بالشنان

جمال " يهز رأسه " جملة صعبة . ولكن أنا
 مكنا . ك . مال

:" تلتف حوله وتسانف حوارها " قبل أن
تسزل باهاشا أترهد أن تقول إن
استفزاز طلاب الضباط الاحتياط هو الذي
دعاك للعنف ؟

جوة

جمال : أليس سبياً كافياً ؟ ألم نسمع
بنفسك ؟ كانوا يتحلونني .

: لو كان الأمر كذلك لا كنت بمعاقة
هؤلاء .

جوة

: نلظني مفضلاً ؟ هؤلاء الضباط ما كانوا
يجرؤون على هذا التصرف لولا إحساسهم
بأنهم يظنون شعباً . إن الدولة العلية تريد
أن تعامل الجميع على قدم المساواة . وأنتم
تضطرونها إلى علم الثقة بالعرب .
تضطرون كل واحد لو ضابط تركي أن
لا يثق إلا بالأتراك بينما العرب في إيمانهم
بهميون من التحديد ويخفون للمواسم التي
تحتاج إليها الجيش . والضباط والمثقفون
العرب يهجون الشعب ويحصلون بالإتكليف
والفرنسيف . لماذا اتفقد المؤتمر العربي

جان

الأول في باريس وليس في برلين أو
استمبول أو حتى في دمشق أو بيروت ؟

: تذكرت الآن مؤتمر باريس ؟

جولة

: أتذكره لأنه انعقد قبل ولايتي وقبل
الحرب . ومع ذلك فإن قرارات المؤتمر
كلها نصرت على تمييز العنصر العربي . أحد
عشر قراراً حول الفكرة ذاتها " ينادي "
شكري . باشكري .

جمال

: نعم يا باشا ؟

شكري

: اقرأ لهم ملحق قرارات مؤتمر باريس
الأول لعام ١٩١٣

جمال

: "يفتح ملفاً ويقرأ" أولاً إذا لم تنفذ
القرارات التي صادق عليها هذا المؤتمر
فالأعضاء الملتزمون إلى لجان الإصلاح
العربية يمتنعون عن قبول أي منصب في
الحكومة العثمانية إلا بموافقة من الجمعيات
التي يتمون إليها . ثانياً سنكون
هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب
العثمانيين

شكري

باباشا مناقشة الموضوع بهذه الطريقة
تشبه السؤال أيهما كان قبل : الدجاجة
أم البيضة؟ من الذي بث الروح العنصرية
قبل الآخر العرب أم الأتراك؟ اسمع
خطاب مدير الشرطة . . . الخريصة في
القسطنطينية في حفل تخرج ضباطه :

نحن قبل كل شيء أتراك . إنني أتساءل
: لماذا يسمونا عثمانيين ؟ وما هو
العثماني؟ إنه تركي احتل هذه البلاد
بواسطة جيشه التركي . إنه لأكثر فخرًا لنا
أن يسمونا باسم الشعب الذي ننتمي إليه .
أيها الأصقاء الضباط . ستصبحون قريباً
في الجيش . وستكونون قادة لجنودنا
الأبطال . علموهم أنهم أتراك . وأنهم
يخاربون الأعداء من أجل تركيا ومن
أجل علم تركيا . وسوف يحرزون
النصر . وكونوا متأكدين من أن
الطرية التركية أفضل لنا من الإسلام ،
وأن النصر بالنسب التركي هو أعظم
شرف .

واحد : وحتى من خلال الإسلام ياسيدي إن
القرآن الكريم ذاته يحكي عن الجيش
التركي وفضله. فأحد المفسرين يقول إن
المقصود بالعاديات ضبحا هو خيول
الفرسان الأتراك .

جمال : وما الخطأ في هذا ؟ نحن أتراك ونفخر
بأننا أتراك .

جولة : كونوا أتراكاً إذاً ودعونا نصبح عرباً لأننا
عرب ونفخر بأننا عرب .

جمال : بهذا ستمزقون الامبراطورية
جولة : أنتم الذين بدأتُم بتمزيقها عندما بدأتُم
بالتمييز بين التركي وغيره .

جولة : أو حين حاولتم أن تجعلوا أتراكاً بالقوة.
جمال : " لشكري " تعال . اقرأ لهم .

جولة : انتظر يا باشا . هذه المرة نحن الذين سنقرأ
لك . اسمع ما يقوله كاتبكم جلال نوري في
كتابه " تاريخ المستقبل " : " يقرأ " إن
المصلحة تقضي على حكومة الأستانة

بإكراه السوريين على ترك أوطانهم. وإن
بلاد اليمن والعراق يجب تحويلها إلى
مستعمرات لنشر اللغة التركية التي يجب أن
تكون لغة الدين.

جمال : وما المانع ؟ أنتم أيضاً تقولون إن لغة
الدين هي العربية

جودة نقول هذا لأن القرآن الكريم نزل
بالعربية

جمال : إذا فالحل كما أقول أنا : أن نكون
إسلاماً وننسى ذلك كله .

جودة لا . نحن عرب . ونريد أن نكون عرباً

جمال : أستغرب لماذا ترون من حق العربي أن
يكون عربياً ويفاخر بعروبه ولا ترون أن
من حق التركي أن يكون تركياً ويفاخر
بطورانيته .

جودة : ويجعل نفسه عنصراً متميزاً لأنه يرى نفسه
متفوقاً على البشر كلهم .

جمال

وهل نحن وحدنا هكذا؟ الجميع يفكرون
بالطريقة ذاتها .. اللبنانيون يرون أنفسهم
متميزين عن كافة شعوب الامبراطورية
ويريدون استقلال جبل لبنان الموارنة
متفوقون على كافة شعوب المنطقة ويرون
أنفسهم امتداداً للأوريين وأحفاد الفرسان
الصليبيين. الأرمن يرون أنفسهم الفرسان
الوحيددين في التاريخ . والأكراد أعرق
شعب في المنطقة . والعرب العرب خير
أمة أخرجت للناس . واليهود شعب الله
المختار . التركي يتحدث مثل غيره
العصر الآن يتحدث كله حديث
القوميات.

جوقة

: لماذا تستنكر حديثنا عن قوميتنا إذا ؟

جمال

لأنه حديث في غير وقته . نحن نستعد
للحرب . وسنجتمع كلنا تحت راية
الإسلام .

جوقة

: ولكنكم تجبروننا على الحديث بالتركية.
وعلى كتابة العرائض والشكاوى بالتركية.

وكاتبكم أحمد شريف يستغرب ويقول :
ما يزال العرب يلهجون بلغتهم . وهم
يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً وكأنهم
ليسوا تحت حكم الترك .

جل
لا بد من وسيلة للتفاهم بين الحاكم
والمحكوم . ومادمت تعلمون الفرنسية
والإنكليزية للتفاهم مع الأوربيين لماذا
لا تعلمون التركية لكي تفاهموا مع
حكامكم وأخوتكم في الدين ؟

جوة
: لأن الإنكليز والفرنسيين لا يريدون محو
اللغة العربية والأمة العربية .

جل
: لا يريدون ؟ تظنون ذلك لأنهم لم
يحكموكم بعد . اسألوا أخوتكم في المغرب
وفي الجزائر ماذا فعل الفرنسيون بلغتهم .
اسألوا الخضر ماذا فعل الإنكليز بلغتهم .
اسألوا الأفارقة وسكان القارة الأمريكية
ماذا فعل الأوربيون بحضاراتهم ولغاتهم
وآبائهم وقومياتهم ودياناتهم . لم يكفوا

بالغاء اللغة وحدها بل ألغوا الشعوب ذاتها
وأبادوها

جوقة وتريد أن تجحد الميررات لكي تفعل بنا مثل
ذلك ؟

جمال : اخرس ودعني أكمل كلامي .

جوقة لايمكن أن يقوم حوار طالما أنك قادر
على إخراسنا حين نشاء .

جمال : أخرسك فقط ؟ سأريك ماذا أستطيع أن
أفعل . " يصفق يديه . يدخل جنود "
خذوه . وأعدموه عند الفجر ربما كان
شنقه مقنعاً له أكثر من الحوار معه "
الجنود يمسكون بالرجل . "

شكري : نشنقه دون أن نحاكمه ياباشا ؟

جمال : وهل قلت أن لا نحاكموه ؟ حاكموه ثم
أعدموه . " يلتفت إلى شكري باعتداد . "

شكري : " يفهم ماذا يريد منه " إني والله لا يُقنع لي
بالشنان . " جمال يهز رأسه راضياً
وينسحب . الجنود يجرون الرجل . زوجته

تشبث به باكية يخرج الجميع . تظل
الزوجة وحدها . تدخل إليها المدام .
الزوجة تلتفت إليها باكية "

دخيلك . يدي بزنارك . أخذوا زوجي
جمال باشا سيعلمه غدا

الزوجة

لا تخافي لا تخافي . انتظري . " تدق
الهاتف " ألو أعطني الباشا من فضلك .
قل له المدام المدام فقط . أهذا شغلك ؟
أما قلة أدب . قل له ذلك وهو سيعرف
" تنتظر قليلاً وهي تتطلع إلى الزوجة واثقة
وباسمة " ألو . مساء الخير . كيف
الأحوال ؟ مشتاقون . نحن لاننساكم
يا باشا . " تهمس وهي تسترق النظر إلى
الزوجة " نذكركم بالخير إن شاء الله .
الدليل ؟ عندي الآن . تذكرتكم حين
رأيتها . جميلة وصغيرة . وسهرة تعجب
خاطركم . " تضحك " كانت خائفة من
الباشا . قالوا لها الباشا غول فصلقت .
قلت لها لا تخافي . الباشا حبوب ولطيف .
" تضحك " نحن بالانتظار . أعرف أنكم

المدام

مشغولون بالحرب ولكن ساعة لك
وساعة لربك . " تضحك وتغلق الهاتف .
تلتفت إلى الزوجة " هيا تزييني وهيتي
نفسك للسهرة الباشا يحب البسط
والانشرائح . يريد الفرفشة والرقص
اسمعي يجب أن نستأجر بعض العازفين
طبعاً طبعاً

الزوجة

: وماذا تقترحين أن نقدم له ؟

المدام

: ماتشائين . لا أعرف مشروب ؟ نقدم له
كل مايرىحه . المهم أن يعفو عن زوجي

الزوجة

أنت وشطارتك . إذا كانت الحفلة مرضية
له فهناك أمل . إذا كان مبسوطاً فلن يرد
لك طلباً . ولكن المشكلة أن الأحوال
المادية

المدام

لا تهتمي للمال سأدفع كل شيء .
سأعطيك مصاغي وييتي . سأجلب كل
ماوفرناه من نقود .

الزوجة

: اتكلي على الله .

المدام

يارب

الزوجة

"بحر حفلة صاحب. موسيقى عالية
وجهور. المدام تهىء الزوجة وتنفض
هندامها. يظهر جمال ووراءه شكري .
يطلع بإعجاب إلى الزوجة الزوجة
تراه لولا فتشوق. المدام تنتبه فتقدم منه
مرحة . شكري ينسحب ."

لهم

: يا مرحبا بالباشا . شرفت ونورت . "تسلم
عليه وتبقى يده في يدها وهي تقوده نحو
الزوجة . "أرجو أن أكون
وعدي وأن لا أكون قد خيبت ظنك .
"جمال يسلم على الزوجة بلهافة شديدة .
الزوجة تسلم بارتباك . يجلس وهو يسحبها
من يدها ليجلسها قربه . "كانت هذه
الخطوة توالية للتصرف بعظمتكم . إنها
مرئكة قليلاً . ماذا تشرب يا باشا ؟

جل

: والخطوة ماذا تشرب ؟

الزوجة

: "مرئكة" كما تريد يا باشا .

جل

: صديقك محمودة .

المدام

هينكم ياباشا

جمال

: كاس العرق سيبدد الخجل .

المدام

: عرق ؟ أم الخمرة الفرنسية الفاخرة ؟

جمال

: لا . لا . عرق .

المدام

عرق . عرق . ما المانع ؟ " المدام تبدأ

بإعداد كؤوس العرق . يهمس للزوجة
"ولكن أظن أن الرقص يساعد على تبديد
الخجل أيضا . ألا ترقصين ؟ " يرفع يدها
و كأنه يرفعها فتنهض لترقص . " هذه
الموسيقى تفتح الشهية على الرقص . " تداري
حرجها بأن ترقص ولا تنظر إليه تتوقف
عن الرقص وتتوجه إلى الجمهور أو
الجوقة .

الزوجة

: في تلك السهرة بذلت جهدي . خلعت

عني حياتي كله . أنتم لاتعرفون معنى أن
تضطر امرأة لخلق حياتها . وأن تقدم
نفسها لمن لاتريده ، أو لمن تكرهه أنا
فعلت ذلك . رقصت وغنيت تعهرت
وتبذلت .

"تكلمها من خارج المشهد " ولم هذه
 اللبكة كلها ؟ نحن نفعل ذلك أحياناً
 للتسلية والمتعة صدقيني هناك نساء يتخذن
 عشاقاً غير أزواجهن للتسلية فقط وأحياناً
 لتأمين دخل إضافي أو لمجرد المباهاة بأن لهن
 عشاقاً.

المدام

ذاك شيء مختلف يامدام . هؤلاء اللواتي
 يتحدثن عنهن يبحثن عن المتعة والتسلية
 نحن نبحث عن الكفاف من كل شيء .
 الكفاف من الكرامة والحياة " للجمهور
 " كان هذا زماناً من الخوف والظلم
 والجوع والاستباحة لم يُبق من سلاح لدينا
 إلا أن نطرح الجسد ومعه الكرامة أمام
 نزوات المتحكمين في حياتنا

الزوجة

"المدام تجلسي العرق. جمال يأخذ كأسه
 ويشربه دفعة واحدة . " كعبه أبيض يا باشا؟

المدام

: يبدو أن الطبخة مستوية .

جمال

: هل نالت رضاكم ؟

المدام

جمال ياسلام . رائعة " يشد الزوجة ويجلسها
بجانبه "

المدام لو أنك تراها وهي في مزاج أفضل
جمال وهل هناك مايعكر صفو هذا الجمال ؟
المدام سوء حظها

جمال ليس هناك ما لانفعله لتحسين حظها

المدام زوجها محكوم بالإعدام
جمال أمر مؤسف حقاً مع أنني لو رأيت هذا
الجمال معه لفكرت فوراً بإعدامه كي
أنتزعك منه

المدام وهل وجوده سيمنعها من تلبية رغباتكم
يا باشا ؟ ولكن الزوج ضروري للبيت
والأولاد

جمال ولم هو محكوم ؟

المدام اشرح لي للباشا بينما أهيء له كأسه "
تتركهما الزوجة تتحدث مع الباشا
بارتباك في البداية ثم تنفعل وتبدا بحركات
عصبية "اصوت العالي للموسيقى يمنعنا

من سماعها جمال يستمتع باهتمام وكلما
زاد انفعال الزوجة ينسجم ويمد يده إلى
جسدها المدام تعود بالكأس " يبدو أن
التفاهم بينكما قد تم بسرعة

جل "وقد بدأ السكر يظهر عليه "سيدة جميلة
وعذبة الحديث .

للم : هنا يعني أنك سعيد بالجلسة

جل : سعيد فقط؟ سعيد وسعدان . " يضحك
تضحكان معه . "

هم : هل يعكر صفو سعادتك أن نطلب منك
طلبا ؟

جل : لا يمكن أن يزعجني أي شيء تفعلينه .
اطلعي وغمي . طلبك محاب قبل أن تقولي .
الزوجة : زوجها .

جل : "ياخت لي الزوجة " نجيته ؟

الزوجة : هو زوجي وابن عمي . وهو الأب
لأولادي بأصاحب العظيمة .

جمال

الأولاد . معك حق . " يقترب منها
هامسا وكأنه سيقبلها " ما اسمه ؟ " تقترب
منه هامسة . يهز رأسه " الصباح رياح .
" يخرج ورقة من جيبه ويسجل الاسم
يشير للمدام فتفهم أن عليها أن تنادي من
في الخارج . تتقدم من الكواليس وتشير
بيدها فيدخل شكري . جمال يناوله الورقة
ثم ينهض وهو يسحب الزوجة ويخرج
بها . "

الزوج

" يظهر في الطرف الآخر من المسرح وهو
يصرخ " لا يابديعة لا . لاتذهبي معه أنا
لاأريد ذلك . لاأريد أن أنجو بهذا الثمن .

الزوجة

لأنجاة لك إلا هكذا .

الزوج

: أنا لاأريد أن أنجو . افهميني . أنا أواجه
هذا المصير لأنني قلت كلمة حق في وجه
الطاغية . قتلها ولست نادماً عليها . قتلها
وأنا مستعد للموت من أجلها لاتجعليني
أدفع ثمنها من كرامتي .

الزوجة

: الأولاد لا يكلمون من الكرامة يا اسماعيل .

أنا أريد أن أربيهم على الكرامة
والشرف.

سأخلصك من اللوث وبعدها تربيهم كما
نشاء.

ربيهم أنت بالهدية.

أنا لا أستطيع إلا ما عجل . لا أستطيع .

لا أستطيع تأمين الطعام والكرامة معاً . أنت
رجل وقوي . وشرفك ليس مطروحاً
للمفاضلة . بعد لمحاتك من يد الجلاد حافظ
على شرفك كما نشاء . . حافظ عليه
واقس أمري . فقد لا تراني إن خرجت .
تلفت لي جمال باسمه ويخرجان .

"بصرخ بأقوى صوت يستطيعه " لا . لا .

"يريد أن يتبع الباشا والزوجة . للمسلم
نشء ."

انظر . دعني أرى ما كتب .

"يتبع الورقة ويربها للمسلم " يطلب أن
نسلم زوجها قبل القدر " يخرج . للمسلم

تظل وحدهما واجمة المجموعة تدخل
بهدهوء وصمت وكأن الجميع في جنازة "

جمال " يخرق وقار المشهد بدخوله العصبي
ماهذه السماعات ؟ هل تريدون أن
تشيروا بي ؟ ماذا يعني هذا الكلام ؟ أنني
استفدت من موقعي للوصول إلى امرأة
جميلة ؟ هنا بما كان يفعله أي دركي صغير
في أمة قرية . هل نحن هنا للحديث عن
الغراميات والخصوصيات ؟ أم للحديث عن
حرب النزعة ؟

جولة : حرب النزعة طبعاً

جمال : فلتحدث إذاً عن الاستعدادات والتجهيد
والتعاون مع الألمان واليهود .

جولة : اليهود ؟

جمال : طبعاً . تقدموا بطلب للمشاركة معنا في
الحرب . كان لديهم جيش في فلسطين .
لكنني رفضت وطلبت تجريدهم من
السلاح . هنا لا تذكرونه وتذكرون أنني
غازلت امرأة . أين المستشارون الألمان ؟

"بخدمته ثلاثة ضباط ألمان" أمين
للمعططات ؟ "يفتحون الملفات والمحفوظات
ألمه . أتور باشا يقف معهم ويتطلع إلى
للمعططات . صراخ من بعيد "

زكي : مستحيل . مستحيل أن أوافق على هذه
الحرب .

جل : "يرفع رأسه" من هذا الذي يصرخ ؟

أبو : زكي باشا والمينا على سورية .

جل : تقاعص معه قبل أن أمر بوضعه على
الغزوى .

أبو : "جعه إلى حيث يدعيل زكي باشا
لأنهم احتماحك باباشا .

زكي : هذه الحملة على القناة قرار مجنون .

أبو : ولكن أنت رنت كل شيء .

زكي : لا . لم أرتب شيئاً . العالم كله في حالة
حرب . وما قت به هو الاستعدادات التي
لا بد منها للجهاد التطورات المفاجئة مثل
احتمال الإنزال الفرنسي على شواطئ

المتوسط . أما الحملة على القناة فهي الجنون
بعينه

انور : ألم ترسل إلينا تشكو من الوضع في
سورية وتطالبنا بإعانتك للوصول إلى حل
للموضوع ؟

ذكي : لا انكر ذلك . وأكرر أنه لكي تستطيع
الدولة العلية مجابهة كل الاحتمالات يجب
أن يسود الهدوء في الداخل نعم لقد
طلبت إعادة عبد الرحمن اليوسف وشكيب
أرسلان وغيرهما من الشخصيات السورية
لكي يكونوا بين عشائريهم وجماعاتهم
كالدروز والأكراد . أما الحملة فامر آخر
الحملة تعني أننا نحن نشن الحرب . وهذا له
متطلبات . وهي غير متوفرة

انور : نحن جاهزون يا زكي باشا . وإننا نستعد
لاستكمال كل ما ينقصنا نحن مؤمنون
بالنصر .

ذكي : الإيمان وحده لا يكفي . أتذكر ما حدث
قبل عامين ؟ " يتوجه للجمهور ويحكى "

جاءت بعض قطع الأسطول الإيطالي إلى
ميناء بيروت للاستيلاء على الطراد عون
الله والنسفة أنقرة . " جمال يقرب
ويستمع " فرفض الوالي تسليمهما .
وانتفع الشباب والقبضات في تظاهرة
عاصفة على الشاطئ . لكن الأسطول
الإيطالي بدأ يقصف بيروت . وطلب الوالي
من الطوبجي أن يطلق من المدفع الوحيد
للموجود قرب منارة بيروت . لكن الطوبجي
لم يطلق أية طلقة . واستدعاه الوالي وأنه
ثم سأله لماذا لم تطلق من الطوب ؟ فأجاب
بهاشا . أولاً بارود يوق . فقال له
الوالي : لا تكمل .

أورد : ما معنى هذه القصة ؟

ذكي : معناها أنكم ستحاربون بينما بارود
يوق .

حسن : نحن عندنا بارود بهاشا . ولكن الحقيقة
التي لا تريد أن تكشف عنها هي أنك
عائف .

ذكي

: ولماذا لا أكشف عنها ؟ أنا خائف فعلاً
خائف من الفشل و الهزيمة . أنت تعرف أن
الدول العظمى تريد التهام هذه الامبراطورية .
الأشداق تقطر اشتهاً لنهشها ونحن بكل
حماقة نعلن الحرب لكي نعطيهم المبرر
لتدمير كل شيء .

جمال

: فشروا . إنك لا تعرف حجم القوة التي
لدينا وكمية الدعم الألماني

ذكي

: احتفظوا بهذه القوة للدفاع عن
الامبراطورية إذا هوجمت لانهاجموا أنتم

أنور

: اسمع يا زكي . أنا سأقود حملة على
روسيا . وجمال سيقود الحملة على مصر
وقوات أخرى ستهاجم الإنكليز في الخليج .
ومع ذلك يبقى لدينا ما يكفي لسحق
الحلفاء عند اللردنيل أو على شواطئ
سورية إذا ما فكر الحلفاء بإنزال .

ذكي

: كله مفهوم إلا هذه الحملة على قناة
السويس .

أنور

: ماوجه الاحتجاج عليها ؟

ذكي أنا أرى الحملة كما يلي جيش بدائي
 ملموم كيفما اتفق ودون تسليح كافٍ
 يسير على الأقدام عابراً صحراء سيئة
 لمهاجمة جيش منطور موجود في سفن
 حربية في وسط البحر كيف ستنتقل
 الجنود إلى الشواطئ وإلى الرعة على
 الأكل؟

جمال : بمشون . جنودنا متعودون على الحياة
 القاسية وليسوا مثل الأوربيين المتنعمين .

ذكي : ياسيدي على رأسي جنودنا . جنودنا
 متعودون . ولكن جنودنا يتعبون .
 ويجهعون . ويعطشون . وإذا أصابتهم
 الرصاصات يموتون . قل لي : كيف ستقل
 للزينة والذخيرة والمياه ؟

جمال : على الجمال .

ذكي : الجمال ؟ أتعرف كم جملاً سنحتاج ؟
 جمال : لدينا جمال الجزيرة العربية كلها . عبد
 العزيز بن سعود في الطائف مستعد لإرسال

ما نحتاج إليه من الجمال والشريف
حسين في مكة جاهز

ذكي

: لن تكفيك جمال الدنيا كلها أتعرف
هذه السفن البريطانية الراسية قرب
الاسماعيلية ؟ على كل سفينة حمولة أربعين
ألف جمل . وهي راسية هادئة في عرض
البحر بينما أنت ستقطع الصحراء حافيا
ماشيا وموونتك على جمالك لكي تصل إلى
الشواطئ ثم ستحتاج إلى جمال أخرى
لكي تنقل عليك وماء لجمالك الأولى

انور

: اسمع يازكي باشا . قرار دخول الحرب ،
قرار الحملة على التركة ، التعبئة العامة
سفربرلك أمور قررهما الحزب وانتهى
الأمر . لم يعد هناك مجال لمناقشتها

ذكي

وماذا يعني أن الحزب قررهما ؟ صارت
كلأما منزلاً ؟ الحزب يقرر على الورق وفي
اجتماعات في غرف مغلقة . وليس في هذا
الحزب من يعرف حجم الامكانيات
الحقيقية . ودعني أوضح لك رأيي بصراحة

في قراركم . وأنتم قررتم وحدكم دون الرجوع
إلى أحد .

أنور : " بقوة " كلمة أخيرة : هل ستنفذ هذا
الأمر أم لا ؟

زكي : " بقوة وحزم " لا .

أنور : وإذا قلت لك إن الأمر صادر عن الصدر
الأعظم ؟

زكي : حتى لو كان صادراً عن هو أعظم من
الصدر الأعظم .

جمال : قد يضررك هذا الكلام يا زكي لو سمع به
الصدر الأعظم .

زكي : منذ قليل كنتم تتحدثون باسم الحزب .

جمال : والآن نتحدث باسم الصدر الأعظم .

زكي : لن أنفذ .

أنور : اسكت إذا ودعنا نشتغل .

الحمقى. هذه كارثة . ألا ترى أنها كارثة ؟

فال

نقاشكم لا يعنيني . نحن نريد هذه الحملة
على القناة . أما كيف تنفذونها فهذا
شغلكم . أنا لا أتدخل إلا للمشورة . أنا
أنفذ أوامر الإمبراطور غليوم

ذكي

يا أخي نفذها في مكان آخر المهمة هنا
مستحيلة . وأنت تعرف ذلك أكثر من
غيرك .

فال

نحن في حاجة إلى هذه الحملة على القناة
ـ . يجب أن نجبر الإنكليز على تكثيف
قواتهم على جبهة القناة لكي لا يفكروا
بإنزال على الشواطئ السورية

ذكي

لم لا تقولها بصراحة؟ تريدون أن يسحب
الإنكليز قواتهم التي تواجهكم في أوروبا
أنا أعرف خسائركم في معركة المارن

: افرض . انتم حلفاؤنا ويجب أن
تساعدونا

هل

: تعني أنك نورط الامبراطورية العثمانية في
الحرب وتريد أن تزج بعشرات الآلاف من
البشر في عملية انتحارية في الصحراء بلا
غاية ولاهدف ولاحدوى . عملية محكوم
عليها بالفشل سلفاً وليست أكثر من
مجزرة. هذا كله للتخفيف عن القوات
الألمانية في أوروبا .

دكي

: لا . لا . الأمر أكثر من ذلك .

هل

: أكثر من ذلك فعلاً . وحجمه الحقيقي
هو أن النعير سيموتون في هذه الصحراء
لاتراحم بشرا . ولذلك لا يهتمك أمرهم في
شيء . فليموتوا مثل الدواب .

دكي

: إنك تستهين بمجوش الامبراطورية يا زكي
باشا . دعني أوضح لك كيف سنمنعك
الانكسار في البحر . سنمنعهم من الاقتراب
من شواطئ الخليج . وقد أرسلنا أوامرنا إلى
القواء على سيد باشا قائد قواتنا في اليمن

أورد

بإقلاق راحة الانكليز ومنع الإمدادات
القادمة من الهند من عبور بوابة البحر
الأحمر . ويجب أن تضع في اعتبارك أن
معظم عناصر الجيش الانكليزي هم من
المسلمين . وهؤلاء لن يقاتلوا أخوانهم في
الدين الذين يرفعون راية رسول الله (ص).

جلال لدينا معلومات تفيد أن المصريين
سيهبون لمحاربة الانكليز حالما تصل قواتنا
إلى السويس .

ذكي : أليس لديكم معلومات أن زعماء القبائل
المتاحمة للبحر في كافة أنحاء الجزيرة العربية
والخليج متحالفون مع الانكليز بمن فيهم
ابن الصباح وابن سعود وحتى الشريف
حسين ؟

جلال أنت واهم ياعزيزي . لن يقف هؤلاء ضد
راية الإسلام . اطمئن يا باشا اطمئن .
مصر أمرها هين .

أنور : المشكلة الصعبة الحقيقية هي على جبهة
القوقاز .

زكي : " لجمال بحبيبة " لا تسورط
باجمال.

" ينتم بنعال " القوة . اسمع يا عزيزي
أنا أعرف أنك لا تريد أن يتأثر نفوذك في
سورية من خلال وجودي . ولكن اطمئن .
ستكون معا . وكن واثقا من أن امتيازاتك
لن تتأثر

" في الطرف الآخر يتزوي أنور وقال كنهان "

اسمع يا باشا . لا أظن أننا سنستطيع العمل
في سورية إذا كان هناك أمثال زكي باشا
معا .

زكي : " نبلغ إليهما " بالجماعة افهموني . أنا
لست عاقفا على نفوذ أو جاه . أنا عاقف
عليكم وعلى نفسي وعلى الامور الوطنية .
ليس المقربط بحمة ألف إنسان لعبة .
بالجماعة هذه حرب . حرب كبيرة .
الإنكليز والفرنسيون لديهم أسلحة حديثة
ومتطورة وخاكة . لم تعد أيام الفرسان
والهش الإكشاري . أنتم في زمن

الفواصات والطائرات وتريدون أن
تواجهوها بالجمال والمارتين .

أنا لا أسمع إذا خطر لك أن تستهين
بجيشكم العثماني فأنت حذر . ولكنني
لا أسمع بالتعريض بجيوشنا الجرمانية
وليكن في علمك أن تسليحنا أفضل من
تسليح الحلفاء وأكثر تطوراً

لال

: هذا تسليحكم لكي تدافعوا به عن
بلادكم . وليس لكي تعطوه لجمال من
أجل مهاجمة القناة . سيظل جمال يقاتل
بجيش يتزود بالماء والطعام بواسطة الجمال
التي ليس متأكداً من الحصول عليها

ذكي

: يدور ويدور ويعود إلى الجمال . إنه
لا يعرف بالتناقضات التي تحكم أمراء
الجزيرة وشيوخها . سيجعلها كل منهم
فرصة للتقرب إلينا وتلبية ما نطلبه منه

جمال

: لن أضيع وقتي بالحديث معكم .
سأحدث الناس . " يلتفت إلى الجمهور
" هذا الرجل " يشر إلى جمال " سيقتله

ذكي

غروره. يتصور أن الحلفاء يخافون منه مثلما
 يخاف منه الناس في الأستانة أو دمشق .
 "الجميع يخرعون ويتركونه وحيدا . " وأنور
 باشا أيضا لا يهيمه أن يموت مئة ألف رجل
 طالما أن في ذلك فشلا لحمال باشا منافسه
 على السلطة. لكنهم يضعوننا كلنا . الزمن
 يركض والناس يتطورون وهذه العقليات
 لا تطور . " يضع رأسه بين يديه ويصمت
 قليلا ثم يرفع رأسه بحزن حقيقي . " اسمحوا
 لي أيها السادة أن أحكي لكم هذه
 الحكاية. استدعى أحد سلاطين بني عثمان
 قائد جيشه ذات يوم وقال له : الإنكليز
 يضايقون سفنا في البحر الأبيض المتوسط .
 وقد علمت أنهم جعلوا جزيرة مالطة
 مركزا لأسطولهم . لذلك أمرك أن
 تحجز جزيرة مالطة من خريطة الوجود .
 فلعب القائد لل مقرر القيادة وبحث عن
 جزيرة مالطة في الخرائط . ثم عاد وانحنى
 أمام السلطان قائلا : يا أي شاه جوق
 باشا. مالطة يوق . أي علف سيدي

السلطان مالطة لم تعد موجودة . فهتف
السلطان وهل قضيتم على الأسطول
الإنكليزي فيها ؟ فقال القائد كلا
ياسيدي . بل محونا مالطة من الخرائط

أنور

" بدخل ويتقدم من زكي يضع يده
على كتفه هوذا مصطنع ويُنهضه ليمشي
معه . " اسمع يازكي باشا . أنت وفي
ومخلص . ولا يشك أحد في إخلاصك
لكننا مختلفان في وجهات النظر وليس
لدينا وقت للمناقشات الطويلة التي تفتضيها
الديموقراطية . لقد قضيت فترة لا بأس بها في
سورية . هل جمعت ثروة معقولة ؟ " بهم
زكي بالكلام فلا يسمع له " أنا أعرف
أنكم تدبرون أموركم . " يضحك وهو
يلكزه ليضحكه " هل امتلأت تنكات
الذهب ؟

زكي

: تعرفون إذا أنا نسرق ونجمع المال ؟

أنور

: ولو . هل ستخفي علينا أمور كهذه ؟

ذكي : إذا لم تكن خافية عليكم فهذا يعني انها ليست خافية على غيركم

: من تقصد ؟

أور : أقصد الناس . الناس الذين يموتون جوعاً كل يوم ويجمع حشهم عمال التنظيفات من الشوارع .

أور : " باستخفاف " الناس . ومن يحسب حاب الناس بالعززي ؟ لا تعب نفسك بالتفكير فيهم .

ذكي : ولكن هؤلاء هم الذين ستأخذونهم الى الحرب .

أور : مالك ولهذا الكلام ؟ سيذهبون الى الحرب لأننا نأمرهم بذلك . ولن يعصوا لأمرنا .

ذكي : كيف سيهربون إذا عرفوا ما جمعنا من ثروات ؟ هل سيقاتلون دفاعاً عنا ؟ وعن ثرواتنا المسروقة ؟

انور : أنفكر فيهم كثيراً ؟ لاتضحكني زكي
باشا . لماذا لم تفكر فيهم وأنت تجمع
ثروتك ؟

زكي : بصراحة ؟ كنت أجمع الثروة لأنها من
المستلزمات الطبيعية والعادية للمنصب .
هكذا تعودنا .

انور : وما الذي اختلف ؟

زكي : الذي اختلف هو أننا الآن ندخل الحرب
وهؤلاء الناس الذين لم يكونوا يعنون
الكثير لنا يجب أن نهتم بهم الآن
لأنهم سيدافعون عنا أقصد عن
الاممراطورية .

انور : عزيزي زكي . لاتتعب نفسك بالتفكير
في هذا الموضوع . مثلما تعودوا أن يعملوا
في الأرض التي لا يأكلون من مواسمها
سيقبلون أن يموتوا دفاعاً عنها . المهم
باعتززي . أنت تعبت حتى صار معك
هذا المبلغ المعقول . ألم يحن الوقت لكى
تتمتع بالدنيا وبالمال الذي جمعته ؟

للجمهور يريدون ان يريهم في انفسهم
لأنور " افعلوا ماشئتم لقد قلت ما في
نفسي وأرضيت ضميري .

انور
: عظيم . عظيم . يهمننا جداً أن يكون
ضميرك مرتاحاً " ينادي " جمال باشا
تعال معي لنخرج في وداع لائق بركسي
باشا " يدخل جمال وساندرز
وفالكنهاين . " تعرف الجنرال لي مان فون
ساندرز

ذكي
: " يهز رأسه باستخفاف " وأعرف الجنرال
فالكنهاين أيضاً " يطرق برأسه ويتجه
للخروج . جمال يخرج معه بعد أن يودعه
بالأحضان . أنور يتبعهما . يظل ساندرز
وفالكنهاين "

ساندرز
: تريد الصراحة يا جنرال ؟ أنا غير مرتاح
لهذه الحملة .

ما الذي تتوقعه من هذه الجيوش المتحلقة
 ؟ ما الذي تتوقعه من جيش يتم تجهيزه
 بالقوة ؟ ومن أناس لا يعرفون من
 القتال إلا ضرب العصا ؟ كيف سننتصر
 بجيش كهذا ؟

فال

ومن قال لك إننا نريد أن نتنصر بهذا
 الجيش ؟ المطلوب منه الحرب فقط فتح
 الجبهة على قناة السويس فقط . وكلما
 طالت الحرب على هذه الجبهة كان هذا
 لصالحنا اسمع أنت سترافق جمال في
 هذه الحملة .

ساندرز

: لماذا تريدون أن تسجلوا علي هذا الفشل
 المحتوم ؟

فال

: فشلك هنا يا عزيزي لا يقل أهمية عن أي
 انتصار يسجله أي جنرال آخر على أية
 جبهة أخرى .

يك : بصراحة نحن غمر راضين عن تصرفاتكم.
قولوا بصراحة : هل نسعون إلى عزلنا ؟ أم
نريدون التكرار لحقوقنا ومصالحنا ؟

ميكس : أهلاً بامسيو يكو أهلاً واسمعي .

يك : كيف نريدني أن أهلاً ؟ نحن متفقون على
أنا سناخذ سورية وأنتم تشجعون
الحركات الثورية فيها . ألا تعرفون أن
هؤلاء الثوار الذين سيقومون ضد جمال باشا
سيكونون أيضاً مصدر متاعب لنا ؟

ميكس : لكل شيء لوانه بامسيو يكو . الخليفة
العثماني يعلن الجهاد للقلمس . هل تفهمي ؟
نحن موجودون في مصر والسودان . ولدينا
جوهى قلبية . هؤلاء كلهم مسلمون .
هل سيحاربون ضد خليفة المسلمين
والصالح فرنسا وبريطانيا ؟

ولا تنس أن في جيوشكم مغاربة وجزائريين
مسلمين أيضا . قد يخذلونكم إذا أحسوا
أنهم يقاتلون ضد الإسلام .

يكر أوضع لي فكرتك .

صاكس : فكرتي بسيطة . العثمانيون يحاربوننا

باسم الإسلام . ونحن سنجعل جيوشنا
تحاربهم باسم الإسلام . كيف ؟ المسألة
بسيطة . هنا خليفة ووراءه تراث عظيم من
القداسة المتعلقة بهذا اللقب . سنبحث عن
قداسة أخرى يتعلق بها المسلمون
وسنضع هذه القداسة في مواجهة القداسة
الأخرى . في الحجاز الشريف حسين من
سلالة نبي الإسلام . في الباكستان أغا
خان ، إمام ورث الإمامة التي تعود جذورها
إلى النبي أو ابن عمه علي وفي السودان
علي المرعني زعيم الطائفة الحتمية .

يكو : " ضاحكاً " نبدو ضليعاً في الإسلام
 باحاج سايكس " مضحكان " وهل
 هؤلاء كلهم معنا ؟

ميكس : لا يهم . اللهم أن يكونوا ضد الخليفة
 الضماني . لكل من هؤلاء مطامحه السي
 لا يستطيع تحقيقها إلا بمعونتنا . ونحن لن
 نعمل بمعونتنا على أحد . اللهم في هذه
 للرحلة أن نكثر الزعامات الدينية . وأن
 لا ينفي للمسلمون أمام خيار واحد . كأنك
 تخو للمسيحي بين أن يكون مع البابا أو
 الكيسة أو القديس بولس ، بشرط أن
 نجعل هؤلاء متعاصمين .

يكو : " ضاحكاً " هذا إذا لم تُضاف إلى القائمة
 ملوتن لوتنر .

ميكس : إنه موجود بالعزلي . محمد بن عبد
 الوهاب هو ملوتن لوتنر . الوهابية حركة
 احتجاجية إصلاحية مثل العروستاتية .
 ونحن نضع في اعتبارنا ابن سعود زعيم
 الوهابيين .

يكون ضليع فعلاً . وكيف ينظر هؤلاء كلهم إلى الألمان ؟

سابكس : اسمع ، مثلاً ، مايقوله آغا خان

آغاخان : إذا فازت ألمانيا في هذه الحرب تصبح تركيا خاضعة لألمانيا . ويصير " المقيم " ، النائب عن إمبراطور ألمانيا ، هو الحاكم الفعلي لتركيا والمشرف على إدارة شؤون الحرمين الشريفين . أما الآن وقد جعلت تركيا نفسها آلة بيد الألمان فإنها لم تخرب نفسها فقط بل أضاعت ما كان لها من الزعامة على الإسلام . ولا بد أن يدرکها الشر .

يكون : " يصفق " جميل . ولكن قل لي : بماذا نستطيع أن نساهم في هذه اللعبة ؟

ميكس : انقل كلام آغا خان إلى مسلمي شمال أفريقيا وانشره بينهم .

يكون : لست واثقاً من اهتمامهم بآغا خان ولكن ما رأيكم لو أرسلنا وفداً من مسلمي

شمال أفريقيا لإعلان تأييدهم للشريف
حسين ؟

ميكس : اسمها عند المسلمين مهابدة أرسلهم
ليباهرو الشريف حسين .

مك : كما نشاء . مهابدة . مهابدة . كما نشاء
يا... حاج سايكس . " مضحكان " .

جون : " يصفق باحتفالية " عظيم . عظيم . هنا
يوضح كل شيء . هنا يوصلنا إلى
مشكلتنا مع الشريف حسين . لقد انهزمنا
بسبب عيائه . كنت قد قلت له " يتوجه
إلى الشريف حسين المحوز الوقور " لكي
تكمل حالة الجهاد يجب أن ترسلوا
مطوعين من المحاز وأن تأتي أنت على
رأسهم .

لين : إننا نريد العودة إلى الجهاد ونتمنى لها
النجاح . ولكن أرجو أن تضعوا في اعتباركم
أن الأسطول البريطاني يسيطر على البحر
الأحمر . وسواحل المحاز كلها تحت

رحمته . نحن في الصحراء . فليذا الهام
الإنكليز علينا حصاراً متناً جوعاً

جمال " بحدة " هل تمتنعون عن المشاركة في
الحرب ؟

الحسين ليس امتناعاً نحن سندعو إلى الجهاد
وإلى نصرته الإسلام . ولكننا لانستطيع أن
نشارك بشكل مباشر سنرسل لكم
رموزاً هامة لتأكيد قداسة هذه الحرب .

جمال أيمن الكرد علي ؟ " يدخل " اكبروا في
صحفكم أن الشريف حسين سوف يأتي
على رأس قوة من الحجاز للمشاركة في
الجهاد .

كرد علي : لكنه لم يقل ...

جمال : " يقاطعه صارخاً " اكتب ما أقوله لك .

كرد علي : حاضر .

جودة : " يفتح جريدة ويقرأ لآخرين " لقد نشرنا
أمس نقلاً عن مصادر رسمية أن الأمير عبد
الله بن الحسين شريف مكة قد تطوع

للعمل في سبيل الجهاد المقدس ومعه فرقة
كبيرة من رجال القبائل الحجازية
وبوسعنا أن نؤكد الآن أن شريف مكة
قد أعلن الجهاد في جميع أنحاء الحجاز مليئاً
بذلك رغبة الخليفة وإن القبائل تستجيب
من كل ناحية لهذه الدعوة بأسلحتها
الكاملة .

شكري " يقترب من جمال ويهمس "بالباب
رسول من الشريف حسين .

جمال : فليدخل .

جولة " يتابع قراءة الجريدة " الشريف حسين
قادم بنفسه إلى دمشق للتباحث مع جمال
باشا وللإعراب عن ولائه للدولة العلية .
" الشريف حسين يتسم بسخرية "

بالقبه " رجل عجوز يمشي بصعوبة ويحيي
بانحناء " أطل الله عمر الباشا

جمال : " ينهض مندهشاً وبدور حول العجوز
متفحصاً " أنت رسول الشريف حسين ؟

بافقيه
محسوبكم عميد آل الرسول وأكبرهم
سناً أنا السيد علوي بافقيه ومعى أولادي
الثلاثة . جئنا من الحجاز ومعنا راية النبي
صلى الله عليه وسلم

جمال
بعصية " صلى الله عليه وسلم . ولكن
ماذا أفعل بالراية ؟ أريد جنوداً وجمالاً

بافقيه
سترتفع راية رسول الله صلى الله عليه
وسلم " لا يكمل يتطلع إلى جمال منتظراً "

جمال
: " يفهم ما عليه أن يقول . فيصرخ بنفاز
صبر " صلى الله عليه وسلم خلصني

بافقيه
: " بهلوء " سترتفع راية الرسول

جمال
" بسرعة " صلى الله عليه وسلم

بافقيه
صلى الله عليه وسلم أين صرنا ؟

جمال
" بنفاز صبر " صرنا عند راية النبي صلى
الله عليه وسلم .

بافقيه
نعم . نعم . سترتفع هذه الراية في مقدمة
الجيش . وسيقاتل المسلمون تحت هذه

الرابعة كما قاتلوا مع رسول الله يتوقف قليلاً

"بسرعة" صلى الله عليه وسلم .

: إنها بركة النبي

"بسرعة" صلى الله عليه وسلم .

: بالرغم من أنني تجاوزت السبعين ، وتلبية
معي لما فرضه الله من الجهاد فلأنني أحس
ومع أنني الثلاثين لنجاهد في سبيل الله
عز وجل . وأنا أحمل بإحدى يدي راية
الرسول للشرف . وباليدي الأخرى كتاب
الله الذي فرض الجهاد على المؤمنين كافة .
إن متاعنا عشرين ألفاً من المسلمين
ودعواتهم ترون في أذني . وأنا أتوجه
لك دمشق وملء نفسي بالإخلاص والرغبة
في أن أكون شهيداً لإعلاء كلمة الحق .

: "بمخد مكروم" هذه مضمونة بإذن الله .

: هل قلت شيئاً بلباساً ؟

: لا . لا . لم أقل شيئاً . أكمل .

بالفقيه

إن أرض الحجاز ومن فيها من القبائل
جميعاً قد لبث نداء خليفتنا المعظم .

جمال

: وأين هذه القبائل ؟ أين الخيول والجمال
والرجال ؟ هل كان ينقصني عجز على
حافة قبره يريد أن يستغل هذه الحملة
"بقلده" لكي يموت شهيداً ؟ " لشكري "
خذوه واسهرُوا على راحته " يلتفت إلى
الجوقة " مات بعد وصوله إلى دمشق بثلاثة
أيام . أين الياور ؟ هينوا موكباً لنقل راية
الرسول إلى "مستدركا" صلى الله عليه
وسلم إلى القدس . سأصحبها بنفسني
وأمشي تحت ظلها

شكري

: مارأي عظمة الباشا لو ننتظر وصول
رسل العراق ؟

جمال

: لماذا ؟

شكري

: لقد أخرجوا سيف الإمام الحسين وراية
العباس عم الرسول ...

جمال

: صلى الله عليه وسلم .

صلى الله عليه وسلم . ورسولون الراية
والسيف

شكري

لا . لا . لن نتظر . راية الرسول وحدها
نكفي الآن . وإذا جاء أي شيء
آخر نسلونه وراءنا إلى القلنس . " يلتفت
إلى المجموعة " كيف أكسب هذه
الحرب وأنا مُتلى بهؤلاء العرب ؟

جل

: ولكن العرب لم يدخلوا عليك شيء .
وحين جئت إلى الشام استقبلت كالمملوك .

جدة

: أنا أتحدث عن الحرب لا عن الاستقبال .

جل

: ولماذا دعوتك بمجلس . وجازوك حتى
من لبنان .

جدة

: إليك أن تقصد الشهابيين .

جل

: ما احتجارك عليهم ؟

جدة

: هؤلاء أكثر مصيبة في الدنيا . الشهابيون
يولون مسيحيين ويهشون مسلمين
ويكرسون دروزا . لحوال وجودي
في الشام لم أعرف كيف أتعامل معهم .

جل

ولم أعرف كيف أتعامل مع الفلسطينيين أو مع اليهود أو المحازيين . يبدو أنه كان علي أن أعامل الجميع كما عاملت الأرمن . كان يجب أن أفنيهم بالحديد أو بالتجويع .

: لقد جاعوا بما فيه الكفاية

جوفه

"باعتراز" ومع ذلك استطعت أن أجمع مئة ألف رجل منهم للحرب . " يضع يده على خصر فيكتوريا " مئة ألف " يلتفت إلى حيث يداخل ساندرز " مئة ألف يا جنرال ساندرز . مئة ألف . هل كنت تعلم بمجيش كهذا ؟

جمال

: مئة ألف فلاح .

ساندرز

: بل مئة ألف جندي تحت السلاح .

جمال

: متأكد يا باشا ؟

ساندرز

: كيف لا أكون متأكداً ؟ مراكز التجنيد

جمال

صاندرز أنا لا أشكك بالعدد باباشا لكنني أشك
بكلمة تحت السلاح هل لديك مئة ألف
بنلفية ؟

جل ماذا تعني ؟
صاندرز : أعني .. " يزد " هل نستطيع أن نكون
وحدنا باباشا ؟

جل " وهو يحتضن فيكتوريا " قل مل تريد .
أنا واثق من فيكتوريا .

فيكتوريا : هل تريدني أن أنسحب باباشا ؟

جل : ولماذا تنسحبين ؟ قل ما عندك يا جنرال
صاندرز . ماذا كنت تريد أن تقول عن
التسليح ؟

صاندرز معلوماتي تقول إن تسليح الجيش يكفي
لتقديم بنلفية واحدة لكل أربعة أشخاص
وربما لكل خمسة . فما فائدة المئة ألف ؟

جل : حين يصاب السلاح سيقتدم الأعزل
وبأخذ سلاحه ويكمل المعركة .

ساندرز ومن يضمن لنا أن لا يصاب الأعزل أولاً؟

جمال إلى أين تريد أن تصل يا جنرال ؟

ساندرز أريد أن أقول إن المئة ألف الذين جمعتهم

سوف يفر منهم خمسون ألفاً قبل بدء
المعركة . والباقون سيمرّ كضون وراءهم
ليعيّلوهم .

جمال مشكلتك يا ساندرز هي أنك لا تحترم
حلفاءك .

ساندرز ليست مسألة احترام نحن لسنا في
حفلة . هذه حرب . وأنا عسكري وأنفذ
أوامر رؤسائي .

جمال : ما علاقة رؤسائك بما نقول ؟

ساندرز : رؤسائي يريدون صورة حقيقية عن
الموقف .

جمال : والصورة الحقيقية هي أنك غير مقتنع بأن
الجيش سيحارب ؟

ساندرز : بصراحة ؟ أنا فعلاً غير مقتنع .

جاء
لأنك لاتعرفهم . هؤلاء الناس محاربون
أشاورس محاربون حقيقيون

مختلج
ربما كنت لاتعرفهم ولكن المرسييني
يعرفهم إنه فادم لمقابلتك وأرجو أن
تسمعه

جمال
جمال الصغير أيس هو ؟ ماذا يريد ؟ ادخل
بموسني . ما الأمر ؟

المرسييني
" بدخل " إنني أواجه موقفاً صعباً ياهاشا.

جاء
" بسمعية " موقف صعب قبل أن تدخل
الحرب ؟

المرسييني
: لكي أستطيع أن أدخل الحرب يجب أن
أصل إلى حلول للمواقف الصعبة التي
أواجهها . الفيلق الثامن الذي أقوده ...

جاء
: لن أستمع إلى كل شعص عن مشاكل
فيلقه . تكلم باساندروز . أريد وضع خطة
للجيش كله ثم ينفذها كل فيلق كما
يلزمه .

ساندروز نحن وحدنا يلزمنا أحد عشر ألف جمل
من أجل نقل المؤونة والطعام فقط .

جمال : فقط ؟ ماذا تعني فقط ؟

ساندروز : تعني أنها لنقل المؤونة والطعام فقط . أكل
الجيش وعليق الخيل والبغال والجمال ذاتها
والمياه للجميع .

جمال وماذا هناك غير ذلك ؟

ساندروز : يبقى علينا أن نؤمن نقل شيتين بسيطتين :
الجنود والذخيرة فقط .

جمال : هل تريد أن تسخر مني يا جنرال ؟

ساندروز : أنا لا أسخر يا باشا . ولكن هذه هي
الحقيقة .

جمال : طيب . انقلوا الذخيرة على دفعات
وكذلك المؤونة .

ساندروز : والجيش ؟

جمال : " يكاد أن يفقد أعصابه " الجنود يمشون
والضباط يركبون .

سانتور
يمشون إلى القناسة ؟ هذه صحراء سيناء
يا باشا

جمال
جودنا كلهم بدو وأنشاء صحارى .
لاتفكر في هذه المسألة

للمرسي
أنا لا أستطيع إلا أن أفكر في هذه المسألة.
فيلقي وحده يحتاج إلى اثني عشر ألف جمل
وثلاثمئة ثور لجر العربات . القسم الأول
من الفيلق فيه ١٢٦٤٢ رجلاً . وهذا
القسم وحده ليس فيه ألف حصان .
(٩٦٨) حصانا بالتحديد .

جمال
انتظر . انتظر . تحدث عن قسم . هل
قسمت فيلقك ؟

للمرسي
: طبعاً . لأنه ...

جمال
: يبدو أن الأسماء لا تطلق جزافاً . يسمونك
جمال الصغير . لأنك تحب التعامل مع
الأسماء الصغيرة .

للمرسي
: هل تحاول أن تهينني يا باشا ؟

جمال : أنا لأحاول بل أهينك فعلاً . أهينك بشكل واضح وصریح .

ساندروز : دعه بشرح وجهة نظره يا باشا " للمرسيي " لماذا قسمت فيلقك ؟

المرسيي : بدأت القوات تصل إلى بحر السبع . ليس من المعقول أن نخشد جنود الحملة كلهم في بحر السبع لكي يتم إرسالهم إلى القناة دفعة واحدة .

جمال : هل سنحارب الإنكليز على دفعات ؟

المرسيي : يجب أن نجد نقطة تجمع ثانية لأنه من رابع المستحيلات إرسال المؤونة والماء لمثل هذا العدد الضخم من الجنود بواسطة الجمال .

ساندروز : وليس من المنطقي أيضاً تجميعهم في منطقة قريبة من القناة . لا تنس أن لدى الإنكليز طيارات . ومدافع سفنهم الحربية تصل إلى مسافات بعيدة .

جمال : لماذا لم تدرسوا هذه المسائل من قبل ؟ لماذا تفاجهوني بها الآن ؟

للموسي
 أبي اسعى منذ ثلاثة أشهر ولم أستطع
 تأمير أكثر من العي جمل فكر إذا في ما
 نحتاج إليه العرق العاشرة والفرقة الخامسة
 والعشرون والكتائب المتطورة

جمال
 وماذا تريدون مي ؟ أن أصبح راعي
 جمال ؟

للموسي
 لا يا باشا ..

للكوري
 ولكنني لأفهم لماذا لم نستطع أن نتحالف
 مع أحد في الجزيرة العربية .

جمال
 " بما يشبه اليلس " حاولت . حاولت ولم
 أنجح . الشريف حسين يزلق بين يدي
 كالسمكة . وابن سعود بعد أن كان
 متحمساً لنا ، وبعد أن جمع سبعة آلاف
 جمل ، غر رأيه وأعطى الجمال للإتكليل .
 هذه هي الحرب التي تقوم قبل الحرب
 الفعلية باعزيزتي . التحرير من الخلفاء
 والأنصار .

للموسي
 : يلو لي أن زكي باشا كان على حق .

جمال
 : ماذا تعني ؟

هذه المهمة مستحيلة

الرسمي

معك حق .

ساندروز

لم يكن هذا رأي فون فالكنهاين

جال

لأن فالكنهاين كان يسمع أوامر
الإمبراطور . وأنور باشا لا يتشاور إلا مع
الباب العالي . والباب العالي عال
لا يتطلع إلى الأرض كما يجب أن يفعل
أي عسكري سيخوض معركة عليها

الرسمي

ومع ذلك نستطيع أن نحاول . الإنكليز
ليسوا أقوياء في مصر

ساندروز

: هذا هو لب الحديث . إذا كان الهدف
من هذا الكلام إيقاف الحملة فهذا
مستحيل . أنا لم آت إلى هنا لكي
أفشل . ابحثوا عن كيفية التنفيذ وليس
عن مبررات التوقف .

جال

: عين الصواب .

ساندروز

: عين الصواب ؟ إننا نرسل مئة ألف إنسان
إلى الصحراء في مهمة مستحيلة . وأنا أفهم

الرسمي

أن لا يهتم هذا الرجل مشيراً إلى ساندروز " حتى لو لم يرجع منهم أحد أما أنت فلا أستطيع أن أفهم عدم اهتمامك بأرواح هؤلاء الناس

صرت تريد الدفاع عن الناس ؟

جمال

ألا أدافع عن الجيش ؟ أرجوك اسمعني . قد لا يكون هناك مرور للحملة على سيناء أصلاً . الفرنسيون احتلوا جزيرة أرواد . هذا يعني أن الإنزال على الشواطئ صار أكثر من محتمل .

الموسني

: لن تعلمني شغلي بامرسي . إذا أنزلوا قواتهم على الشواطئ سيحلبونني بانتظارهم . اللهم أولاً وأخيراً هو دخول مصر . هنا سيقلب خططهم رأساً على عقب .

جمال

: وماذا لو دخلنا مصر ودخلوا هم إلى سورية ؟

الموسني

: "محزوم" انتهى الاجتماع يا صغور . "الموسني" يخرج غاضباً . جمال يلتفت

جمال

إلى ساندروز . "لماذا لم تخرج معه ؟ اسمع
أولاً لن أعتذر عما صدر عن الصغير أنا
لا أعتذر عما أفعله فلا تنتظر مني أن أعتذر
عما يصدر عن غيري .

ساندروز لم أبق من أجل ذلك .

جمال : لماذا تبقى إذا ؟ لتناقشني ؟ رح ناقش
قيادتك . وليكن في علمك أن الحملة
ستتطلق في موعدها حتى لو كان ذلك
دون مشاركة الألمان . لقد أصبحت المسألة
متعلقة بكرامتي الشخصية .

ساندروز لم أبق لكي أناقشك .

جمال : لماذا إذا ؟

ساندروز : إنني أحاول أن أفهمك .

جمال : لست مضطراً لذلك .

ساندروز : إنها رغبة شخصية . كيف نخوض حرباً
تعرف أنها خاسرة ؟

جمال : الآن جئت تقول إنها خاسرة ؟ بعد أن
ورطتمونا بدخول الحرب ؟ وبعد أن

أدخلتم في رؤوس قيادات الحزب أن هذه الحملة ضرورية ؟ لماذا لم تقولوا ذلك منذ البداية ؟ لماذا لم توفرنا علينا هذا التجنيد القسري وهذه التصريحات والوعود التي أعطيناها للناس ؟ هذه الكراهية التي كسبناها من الشعب ؟

مخلد : تدهشي باهاشا لم أكن أظن أنك تعرف ذلك كله

جمال : وماذا الآن أعرف . وما أنت تعرف أنني أعرف . ما العمل ؟

مخلد : أما زلت ترى أن هذه الحملة ضرورية ؟

جمال : وأنت ألا تراها ضرورية ؟

مخلد : في البداية كنت أراها ضرورية . لكن الأوامر الآن أن نكثف جهودنا القتالية على جبهة العراق . "جمال يضع رأسه بين يديه مرهقاً" ربما كان من الممكن للتوقف الآن ونجنب المجزرة .

جمال : بالنسبة لك ممكن . أما بالنسبة لي فهو مستحيل .

فيكتوريا حبيبي . إن كنت غمر واثق من النصر فلم
هذه الحرب ؟

جمال إن لم أخض هذه الحرب سأفقد هيبتي
أمام السوريين . وسأصبح أضحوكة في
الحزب سينقضون علي مثل الذئاب ربما
لم تعد هذه الحملة ضرورية لكسب الحرب
لكنها ضرورية لتثبيت حكمي . ما يزال
لهذه الحرب وهج مشروع . وكل حاكم
يحتاج إلى حرب مشروعة وعادلة تلائم
حكمه

ساندروز أفهمك . أفهمك حتى لو لم أوافقك .

ليكتوريا : إفعل مايرجحك يا حبيبي .

ساندروز : قبل أن أنصرف هناك مسألة أخيرة أحب
أن أناقشها معك .

جمال : ماهي ؟

ساندروز : مسألة رعاية الدول المتحاربة . لا أرى أنه
تصرف لائق ان تحتفظ بهم كرهائن .

جمال مالك ولهم ؟ هذا قرار اتخذته ولن أراجع عنه

ساندرز ياباشا . هؤلاء ليسوا أكثر من خمسمئة شخص

جمال إسمع ياساندرز . لا تقل لي إنك مهتم بخمسمئة شخص من أصل أوربي أكثر مما أنت مهتم بالمئة ألف الذين أحشدهم على أبواب سيناء

ساندرز إنك توصلني إلى النقطة التي أريدها أنت تحشد في سيناء مئة ألف . وهناك مئات الآلاف على جبهات العراق والدردينيل والقفقاس ولا شك أن العدو يحشد أعدادا مشابهة

جمال الحرب ستحسم المسألة وأنا سأبدأ حربي غدا

ساندرز بالضبط . الحرب ستحسم المسألة . ولكن فكر معي . مئات الآلاف سيحاربون مئات الآلاف . أنت تدافع عن امبراطورية وهم يريدون التهامها . إن

كل طرف من المتحاربين مستعد لتقديم
خمسمة ضحية لعلاقة لها بالحرب
الآلاف سيموتون دون أن تكون لهم علاقة
بالحرب

جمال ما الذي تريد أن تصل إليه ؟

ماندرز أقصد أن خمسمة رهينة لن يضغظوا على
أحد في حرب كهذه بحيث يُجبر على تغيير
قراراته أرخص ما في هذه الحرب هم
البشر الجميع مستعدون للتضحية
بجنودهم دون تردد "جمال يفكر قليلاً"

فيكتوريا معه حق يا باشا حرام أنا أعرف أن
قلبك رقيق .

جمال رقيق مع الحسنات أمثالك وليس مع
أعدائي

ماندرز "يتشجع . " كما أن هناك مسألة اليهود

جمال وما بهم اليهود أيضاً ؟

صغوز : يمكن تر حبلهم إدا كنتم ترون إقامتهم
غير شرعية السفن الإنكليزية جاهزة
لنقلهم إلى مصر

جل : هل تتصل بالإنكليز ياسادرز ؟

ساندرز : لا باباشا الإنكليز اتصلوا بالإمبراطور
من أجل مشكلة اليهود

جل : وأنا لا أتصل إلا بقيادة حزبي .

ساندرز : اصمح لي أن أنسحب إذا .

جل : ألن تشارك في الحملة ؟

ساندرز : الأوامر لدي أن أكون في مكان آخر .
لكنني لا أكتفك سعادتي بإعفائي من
اللمة . فأنا لأحب أن أضيف إلى سجلي
هزيمة . " يظهر فان غريس . ساندرز يشمر
إليه " سيكون فون غريس إلى جانبك .

جل : قبل أن تذهب . ما الذي تظن أننا قصرنا
فيه من الناحية العسكرية ؟

ساندرز : كنت نحتاج إلى مد سكة حديدية في
سبهاء أو على الشواطئ . من الناحية

العسكرية يا باشا ، واعذر لي صراحتي
، أنت تفرق في شير ماء كما يقولون
عندكم

" بهز رأسه دون كلام ساندروز
ينسحب بعد قليل يطلق ضحكة مفاجئة "
شير ماء ؟ أنا أغرق في شير ماء ؟ أنت
لا تعرفني يا عزيزي الجنرال أنا لا أغرق في
بحر من الدم " يهتف " إلى الحرب

جمال

الجولة

لم تأت إلينا الحرب
بل نحن قصصناها أسرى .
قلنا إن مع العصر الكالح والظالم يسرا
ما كنا جبناء
ما اخبرنا أن نضحى شهداء
بل ما حولنا للحملة يسرا
ودع إن كنت تودع
فاللرب إلى الحرب غر بصحرا

نقطمها مشيا

تنهيا عريا

لدم حافية

بطر خاوية

واللوب ملئت ذعرا

لحن بلا جهش مغرور لك

نرك أهلاً وبلاها

لتموت ولحن نسو إلى حرب الرعه

ولموت على ضفة تلك الرعه

ولموت ولحن لهم على لوجهنا

نسعى للموت على وجه السرعه

لو فضل للموت على الخنزوق

ملوق موت الخائن بالجرعه

: "بغني" ..

جولة

كان أبي لولاه ربي الرحمة

حلو الكلام بسلامة

ينفل أخباراً لنا جمة
 عما رآه يوم كان جندي
 فلذات يوم بعدما انتهينا
 من الطعام نحوه أينا
 نطلب ما يقصه علينا
 فلم يمانع وأبدأ بالسرد
 قال : لقد كنت رئيس مبعثة
 يوم عبرنا من مياه الرعة
 لبعث حرب حكمت بالرجعة
 على العدو لوراء الحد

جمال : " وحده مع فيكتوريا " هل لديك عرق ؟
 فيكتوريا : أنا أعرق لك يا باشا إن لم يكن هناك
 عرق .

جمال : ليس هذا وقت الدلال يا عزيزتي . أحس
 أن فمي يابس .

جولة : هل نستطيع أن نفهم سبب وجود هذه
 للمرأة إلى جانبك دائما ؟

أنا أحب النساء وخاصة حين لا يكن
روجات يضحك وحده "

طلما أنه لم تعد هناك أسرار هل من
الممكن أن تتكلمي باملام فيكتوريا ؟

طلما أنكم تكشفون كل شيء فلا تكشف
لكم عن حقيقي . لم يكن اسمي الحقيقي
فيكتوريا . أنا يهودية نمساوية . جئت
بهمة خاصة هي السعي لتحقيق حلمنا في
وطن قومي لليهود . المرأة تستطيع دائماً أن
تقنم الأحرار بسهولة . يكفي أن تظهر
أنها معجبة بهذا الرجل أو ذاك . أو يكفي
أن توحي بأنها يمكن الوصول إليها .
عندذاك ترى الرجال يتهافون عليها .
وعندها تكون لديها الفرصة أن تختار . قد
تتزوج الشاب الجميل أو الغني . في حالتنا
كنا ننقي الرجال الذين لديهم أسرار لكي
نوصلها إلى الإنكليز الذين وعدونا بوطن
قومي . وهكذا توزعنا بين الضباط
العثمانيين والألمان . وكنا نقوم بمهامنا على
أكمل وجه . لقد أدينا الخدمات التي كان

الإنكليز يحتاجون إليها لتحقيق النصر على
جبهة فلسطين " تنطلع بشكل خاص إلى
جمال " وجمال لم يكن يختلف عن أي
رجل أو ضابط آخر في الجيش مغرور
يحتاج إلى ما يؤكد له صحة غروره وما
الذي يشبع غروراً كهذا أكثر من المرأة ؟
" نحاول كتم ضحكة " حتى أننا أقنعناه أنه
أكثر فحولة من غيره من الرجال

رمول "يدخل متلهفاً" ياباشا . ياباشا

جمال " ينهض متوتراً " ما بك قد دخل كالمجنون ؟

رمول : عمرنا الرزعة ياباشا . عمرنا الرزعة . انظر
ياباشا . برقية من مقر قيادة الجنرال فون
غريس .

جمال : " بثقة واعتزاز يقف مزهواً " طبعاً
سنعبرها . " يلتفت إلى المراسل " أرسل
برقية إلى اسطنبول . لا تقل فيها إلا جملة
واحدة : عمرنا الرزعة . التوقيع جمال
باشا .

رمول : حاضر ياباشا . " يخرج "

وحده سرى الإنكليز الآن أي غول
 يصارعون "غريس يدخل وهو مطرق
 وحزين . جمال لا ينتبه إلى حالته " كنتم
 تنصرون أنني لا أستطيع الانتصار . ما
 رأيك الآن جنرال غريس ؟ هل ستفرون
 نظرياتكم الحربية ؟

غريس : هل عرفت بما جرى باباشا ؟

جمال : طبعاً عرفت . عرنا الزعة .

غريس : بلح خمسة جندي في العبور فوقعوا في
 الأسر .

جمال : وبقية الجيش ؟

غريس : انتهال القصف من الطائرات والسفن
 الإنكليزية عليهم وهم لا يستطيعون شيئاً .
 فهربوا .

جمال : هربوا ؟؟؟

غريس : نعم . هربوا .

جمال : لى أين ؟

- غريس انتشروا في الصحراء هارين . تركوا
أسلحتهم وهربوا أكثرهم سيموت في
هذه الصحراء . بعضهم استطاع أن يحرق
مستودعات التموين والذخيرة قبل الهرب
- جمال "يقفز عليه كأنه سبأكله " كذاب
كذاب . البرقية وصلت الآن
- غريس "بهذوء .. يحمي ويخرج "
- جمال "يتحول كالوحش .. لايعرف ماذا يفعل
لايوجد أمامه إلا الرسول الذي دخل لتوه"
- رمول : أرسلت البرقية بانتصارنا ياباشا
- جمال : " يتطلع إليه بوحشية "
- رمول : " يرتبك أمام هذه النظرات فيرتجل أي
كلام يخطر له " البرقية التي جاءتنا صادرة
من مكتب الجنرال غريس ياباشا.
- جمال : "يهجم عليه وينهال عليه ضرباً يلقيه
أرضاً ويرغمي فوقه . ويبدأ في ضربه وعضه
وهو يصرخ "خونة .. جناء .. حواسيس
كلاب .." ثم ينهض وهو يحدق في

الفرع وقد نترك الرسول ملقى على
الأرض. " الآن ستعرفون كيف يكون
القول الحقيقي باكلاب .

نهاية الفصل الأول

هذا المقطع الشعري للشاعر عرار . وبقية
الأشعار التي ليست من تألّفي أشعر إليها في
سياق النص . بقية الوثائق لم أشعر إلى مصادرها
لأن هذا عمل فني وليس بحثاً أو عملاً تاريخياً .

الفصل الثاني

« مجموعة من الرجال بملابس بيضاء وملامح غير واضحة في عمق المسرح تحت أعواد المشانق . جمال باشا جالس في منتصف المسرح يدخن نرجيلة باستمتاع وهو يتابع عملية تنفيذ أحكام الإعدام..»

" تنشد " :

الجلوة

آه

يا أله

يا من لا رب لنا إلاه

لأنجدة أو راحة عند مواه

يا أله

يا من بالحلم يموت

تنزهت عن الأشباه

زاد الحلم وإمهالك زاد

حتى فرعن في الدنيا

جبارون طغاه

حلمك زاد فظن الظالم

أنك تهمله

أو تنساه

"فون غريس يقف مديراً ظهره
لجمال. جمال يراه فينهض مستفزاً"

جنرال فون غريس . كيف تورطني
بإرسال برقية عن انتصارنا على القناة ؟

أنا ورطتك يا باشا ؟

: البرقية التي جاءني كانت من مكتبك .

"يضحك" التباس بسيط وقع فيه
الموظف المسؤول عن البرقيات

اللباس بسيط . تقرير عن معركة فيها
مئة ألف إنسان ويقول لي التباس بسيط .

جمال

غريس

جمال

غريس

جمال

غريس أنت تعرف الاتصالات ليست كما ينبغي والأجهزة معظمها معطل ولذلك فإن موظف البرقيات ليس لديه الكثير من الشغل. فصار يستفيد من وقته ويشغل مع عمال سكة الحديد.

جمال ويترك مكان عمله ؟

غريس كان يعمل في المنطقة المجاورة لمنطقة قطعته العسكرية

جمال وأنت تعرف ذلك ؟

غريس عرفت ذلك في ما بعد

جمال ولماذا يشتغل مع عمال سكة الحديد ؟

غريس قال من أجل البراني يعني الأجرة الإضافية

جمال هل تريدني أن أجنّ يا جنرال ؟

غريس لا يا باشا الشر بعيد عنك .

جمال : ويتكلم مثل العرب . الشر بعيد عنك

ألا يأخذ هذا الحيوان راتباً من الجيش ؟

غريس يقول إن راتبه لا يكفيه

: ولماذا لا يكفيه ؟ ماذا في الجبهة مما
يستدعي الصرف والبحث عن البراني ؟

جمال

لا شيء . وربما كان يكذب أو يطمع .
يقول لنفسه : فرصة لتجميع بعض المال
لماذا لا أستغلها ؟

غريس

أهذا كلام يا جنرال ؟

جمال

طبعاً ليس كلاماً ولو حدث ذلك في
جيشنا مستحيل أن يحدث ذلك في
جيشنا

غريس

ولماذا يحدث في جيشنا ؟

جمال

هذا السؤال تجيب عنه أنت يا باشا

غريس

" يهرب من الموضوع " ولكن كيف
أرسل تلك البرقية ؟

جمال

غريس بينما كان يعمل في سكة الحديد
رأى جندياً عائداً من الداخل ، أقصد من
الجبهة . ادعى الجندي أنه عائِد من القناة
وأبلغهم أن جيشنا قد عبر القناة . وأننا
استولينا على الإسماعيلية فركض عامل

البرقيات إلى المكتب وأرسل إليكم البرقية فوراً.

: دون أن تمر البرقية عليك ؟

جمال

أنا كنت في الطريق إليك لإبلاغك بحقيقة ماجرى

غريس

وكيف يجرؤ على أن يتجاوزك ؟

جمال

هو هوه . أطال الله عمرك ياباشا . هذا الموظف يجب أن تمر برقيته على خمسة مراكز قبل أن تصل إلي ولكنّه تجاوز الجميع ليرسلها إليك شخصياً وكان يتوقع أنه سيأخذ حلاوة البشارة ولذلك وقع على البرقية باسمه الصريح

غريس

ووقع باسمه أيضاً بسيطة لن يتعبني بالبحث عنه سأعده لا . لا . سأخوزقه .

جمال

لا أظن أنك تستطيع أن تفعل ذلك .

غريس

ولماذا لا أستطيع ؟

جمال

أمرت بحبسه ولكنه هرب هو ورئيس الحرس وخمسة جنود آخرين

غريس

جمال

إلى أين؟

غريس

لأدري ربما إلى الإنكليز أو إلى قراهم وربما نعثر عليهم ميتين من العطش في مكان ما من هذه الصحراء المهم ماذا ستفعل الآن؟

جمال

غريس

تقول إنه هرب ماذا أستطيع أن أفعل؟
لأسألك عنه يا باشا أسألك ماذا ستفعل بالجيش الآن؟

جمال

وماذا أستطيع أن أفعل بجيش كهذا؟
ننسحب طبعاً لقد رسخ في ذهني أنه ليس هناك أمل في عبور القناة واحتلال الإسماعيلية ولكننا نجحنا في هذه التظاهرة

غريس ولكن يا باشا يجب أن لا يحس الإنكليز أننا اعترفنا بالهزيمة يجب أن يظلوا متوترين ومنتظرين احتمال هجومنا . ولذلك يجب أن يبقى الجيش مرابضاً قرب القناة .

جمال

ألا تدرك يا جنرال أننا إذا بتنا بجانب القناة
يوماً آخر فلا مفر من فناء الجيش كله ؟

غريس

يا صاحب السعادة أرى أن رجال الحملة
يجب أن يفنوا عن بكرة أبيهم

جمال

"مندهشاً" ولماذا نعرضهم للفناء بلا
طائل ؟

غريس

هل أفهم أنك بدأت تشفق على هؤلاء
العسكر ؟

جمال

لاتنس يا جنرال أن هذه القوة هي كل ما
لدينا للدفاع عن سورية وفلسطين إذا
احتاج الأمر لذلك يجب إرجاع الجيش
كله إلى غزة سيحاول الإنكليز شن
الهجوم علينا هناك.

غريس

ولماذا ننتظر وصولهم إلى غزة ؟ لماذا
لانشتبك معهم في الصحراء ؟

جمال

لكي نشتبك معهم في الصحراء يجب أن
يكون لدينا جيش في الصحراء ولكن إلى
متى يمكن الإبقاء على الجيش هناك ؟

لوكد لك ان الإنكليز سيكونون سعداء
 بأن يظل الجيش هناك حتى يموت دون
 قتال . فهم يعرفون، كما تعرف أنت ، أننا
 لا نستطيع إطفاء جنودنا أو سقائهم أو
 تأمين ذخيرتهم وهم هناك . ويعرفون، كما
 تعرف أنت ، أننا لا نستطيع ضبطهم .
 سيواصلون الحرب كل إلى مصر
 لاحتلال غزيرس . لا طائما أننا لم نعد
 نستطيع أن نهاجم فيجب أن نتظر هجوم
 العدو . الجيش يعود إلى غزة . وأنا سأعود
 إلى مقر القيادة في بحر السبع .

فريس : بحر السبع أم القلص ؟

جاء : وربما إلى دمشق أو إلى اسطمبول . هل
 نظن أن أتور باشا سيهدأ إذا أحس
 بضغبي ؟ حتى السوريون لا آمن جانبهم .
 إذا أحسوا أن الجيش قد هبته انقضوا
 علينا مثل اللهب . يجب أن يبقى الجيش
 متمسكا لكي يظل الحكم محافظا على
 هيته .

غريس كما تشاء يا باشا ولكن ماهو عملي في
هذه الحالة ؟

جمال تساعدني على الاستعداد للحرب .
ستنهياً لجولة جديدة نفتح بها معبر

غريس ولكنك تقول إنك غير معني بالحرب

جمال لاتفهمني خطأ يا جنرال إذا كانت
استعداداتنا جيدة ماالذي يمنعنا من الحرب ؟
هل هناك حاكم لايجب تحقيق
الانتصارات ؟ هيا يا عزيزي . هيا فكر معي
في سكة الحديد . ساندروز قال لي إنه كان
يجب أن تفكر بمد سكة حديد في سيناء .

غريس : سكة الحديد أمرها هين إذا أمنت
العوارض الخشبية .

جمال : " بسخرية " الخشب ؟ هذه هي المشكلة ؟
يارجل . ليس هناك ماهر أكثر من
الخشب . " يعطي أوامره " اقطعوا أرز بنان
والأشجار في غرطة دمشق وسهول حمص
وحلب وفلسطين . لاتتركوا شجرة في
بلاد الشام كلها " ينصرف غريس بينما

يعود جمال إلى نرجسته وينابيع فرحته على
 عملية الشفق . الإضاءة توضح المشنوقين .
 ساهكس ينف تناملاً من جهة أخرى .

جدة " نفني . إنه نشيد للمشنوقين "

نحن نهند الأمل جسد جسد وظلا
 نسل لفظنا لأي جسد كل العرب
 " يكو يلوب من ساهكس . "

يكو يدوان محرومكم على غرة قد فشل .

ساهكس نشمت باسمو يكو ؟

يكو لا جمال للشماتة يتنا باسماهكس . ولكنني
 لا أكتمك سعادتي .

ساهكس لا توهم أننا ستوقف بعد مناورة فاشلة
 كهذه .

يكو " يضحك " : صرت تتحدث مثل جمال .
 هو أيضاً قل إن محرومه على القننة كان
 مناورة .

سهيكى

: أتظن أن جمال بجيشه التافه يستطيع أن
يصد أمامنا ؟

يكي

: بالتأكيد لا يستطيع . ولكن الجنرال موراي
استعمل في المحرم .

سهيكى

: موراي ارتكب خطأ بسيطاً في
التقديرات .

يكي

: هنا ما أقوله خطأ في تقدير توقيت
المحرم .

سهيكى

لا بماعيزي . بل هذا وقته . بعد أن
تلحق الهزيمة بعدوك يجب أن لاتترك له
الفرصة لكي يستجمع قواه وينظم
صفوفه . يجب أن تضرب الضربة القاضية
فوراً .

يكي

: هذا تفكير عسكريين . العسكريون هم
الذين يفكرون في القضاء على العدو فوراً .

سهيكى

ألا تريد نحن ذلك أيضاً يا مسيو يكي ؟

يكي

دعنا ، أنا وأنت الآن ، نفكر على
طريقة العسكريين . ألا تريد أن يهرب

جمال بلخا في الاتجاه الذي يريد له لكي
يكون اتصالنا كاملاً ؟
: طبعاً .

: اسمع فكري . جمال الآن عار أمام هزيمته
ويريد أن يسر عريه .

: سيسر عريه بالاستعداد للحرب من
جديد . يجب أن توقع أن معنوياته سترتفع
إذا اضطرونا للانسحاب من اللردنيل
وبعد فشل المحرم على غزة .

: نعم . ولكن لا تنس أنه بعد الانسحاب
من اللردنيل يصبح من الممكن زج قوات
جديدة ضده في مصر . وهذا يتطلب وقتاً
منكم ومنه .

: لا تفهمك أحياناً .

: بهرابة ، أتمنى أن تطول فترة
الاستعدادات .

: هل تخاف أن يهزمنا الأتراك ؟

يكو : من هذه الناحية أنا مطمئن. وخاصة إذا
أخلص الشريف حسين لتحالفه معكم .

ميكس : الشريف حسين مضمون لقد أعطينا
وعوداً مشجعة .

يكو : وهو يشجع السوريين . عظيم .
السوريون متضايقون ويسعون للتمرد على
جمال والعثمانيين منذ زمن طويل .
جميعياتهم ناشطة واتصالاتهم واسعة .

ميكس : لاتعول كثيراً على السوريين .

يكو : هم فرصة جمال باشا لتستمر عريه .

ميكس : أنا لافهمك فعلاً . ألن تحاول تشكيل
جيش جديد من السوريين ؟

يكو : ليس هذا هو المهم . المهم أن الوقت لي
صالحنا .

ميكس : الألمان يرسلون له التعزيزات . هل نسيت
ذلك ؟ قوات للمانية ونمساوية .

يكو : عليك أنت أن لاتنسى أن مشكلة جمال
الآن ليست الاستعداد للحرب بل ولاء
السوريين .

"يتصاعد من مجموعة المشنوقين نشيد مرغم.
سايكس ينصرف كلياً إلى سماع النشيد "" :

جولة

| | |
|------------------------|----------------------|
| شربوا على الخصم اللدود | نار الوغى ذات الوقود |
| يا أيها العرب الكصرام | إلى متى أنتم نيام |
| لوموا إلى الموت الزؤام | وامشوا له مشى الأسود |
| كنتم ملوداً للصوري | تحشاكم أسد الشرى |
| باليت في أم القري | فتذكروا تلك العهدود |
| لاعاش من خاف الطعان | أو هاب أحداث الزمان |
| أي امرئ يرضى الهوان | أولى به سكنى اللحدود |

يكو : بماذا تفكر يامستر سايكس ؟

سايكس : لماذا يعدم هؤلاء ؟

يكو : حاكم يصفي معارضيه

سايكس : لكنه يعدم الذين عشر على أسمائهم في

وثائق سفارتكم . هل تركتها متعمداً
يا بيكو ؟

" ضاحكاً " إنك تفترض في ذكاء أكبر
مما أتوقع . هل تجاملني ياسايكس ؟ ربما أعدم
الذين وردت أسماؤهم في وثائق
سفارتنا . لكنه أعدم غيرهم وسيعدم المزيد
قريباً . وهو يلصق تهمة التعامل معنا بكل
من يقف في طريقه . كلما مر الوقت
ازدادت الأمور تعقيداً أمام جمال لاشك
أنه سيحاول أن يسترد هيئته أمام
السوريين وأمام رفاقه في الحزب . فكر
معي ماذا يفعل الناس حين يحسون أن
حاكمهم الذي لا يحبونه قد صار ضعيفاً ؟

بيكو

لا تقل لي إنهم سيهبون ضده ثائرين
ويكررون انتصار الشعب كما حدث في
الثورة الفرنسية

سايكس

لكنهم سيحاولون

بيكو

وسيفشلون وسيسحقهم

سايكس

بالضبط

بيكو

بحق السماء تكلم كلاماً أفهمه

سايكس

أعصابك عزيزي سايكس. إنك تفقد
بسرعة برودة الأعصاب المتوقعة من
إنكليزي مثلك. نحن، يا عزيزي ، أعني نحن
وأنتم ، سننتصر في هذه الحرب هذا صار
مؤكداً وحسب اتفاقناستقاسم هذه
المنطقة .

بيكو

: وإذا ؟ !!

سايكس

هذه المناطق تختلف عن مستعمراتكم
الأخرى . هنا آمال قومية جديدة تستيقظ
وأحلام تكبر هنا حركات وجمعيات
أزعجت السلطان العثماني كثيراً.

بيكو

هذا سيساعدنا

سايكس

يساعدنا على ماذا ؟ إسقاط جمال باشا؟
أم هزيمته ؟ لسنا في حاجة إلى معونة
السوريين في ذلك . يجب أن نفكر في ما
سيحدث بعد أن نهزم جمال نحن سنأتي
إلى المنطقة. ماذا سنفعل بالسوريين ؟ هل
سنحقق لهم طموحاتهم ؟ نوقع الهزيمة إذا

بيكو

في جيش جمال وقد نقتله ثم ننسحب
ونكون بذلك قد قاتلنا نيابة عن السوريين
والعرب

سايكس لاشك أنك تمزح . ونترك البترول
واليهود وطريق الهند وقناة السويس؟

يكو "يضحك" لا . لا . طبعاً ولكن ماذا
سنفعل بالجمعيات والأحزاب الموجودة هنا
بعد مجيئنا؟

سايكس لا أعتقد أنهم سيستطيعون أن يزعمونا
كثيراً

يكو وإذا أزعجوك ؟

سايكس أليس الجواب معروفاً ؟ نسحقهم

يكو وأنت القادم باسم الحضارة والتحرير
والدفاع عن حقوق الشعوب ؟ " يخرج من
جيبه ورقة " اسمع ما سنعلنه بعد انتهاء
الحرب " يقرأ " : إن السبب الذي من
أجله حاربت فرنسا وإنكلترا في الشرق
هذه الحرب التي أثارها مطامع ألمانيا هو

لحرير الشعوب التي رزحت أحيالاً طويلاً
تحت مظالم الذك تحريراً تاماً ونهائياً.

ميكس : بكفي . بكفي . ماذا ستفعل إذا ؟ هل
ستتركهم يحققون ما يحلمون به ؟

يكو : لا . سحقهم الفضل .

ميكس : لما كنت أقول ذلك ؟

يكو : ولماذا نسحقهم أنت ؟ اترك هـ لنا لجمال
باشا . امنحه الوقت فقط . وأقصد :
امنحهم هم أيضاً الوقت لكي يتحركوا
ثم امنحه الوقت لكي يسحقهم . لا تنس
أنها الآن مسؤوليتكم .

ميكس : ولماذا هي مسؤوليتنا ؟

يكو : لأنكم أنتم شعبكم الشريف حسين على
الاتصال بهم .

ميكس : ولكن أنتم كنتم تتصلون بهم مباشرة .

يكو : ألم تنفق على أننا كنا في حاجة إليهم ؟
الآن انتهت هذه الحاجة . أتعرف بما عجزني
ميكس ؟ لو أنهم مسلمونني جمال باشا

لأعدته سالماً إلى سورية يجب أن يكمل
 ما أريده منه بل لعلّي أعتبر نفسي
 مسؤولاً عن حمايته الآن. جمال يلزمي
 لإرهاب السوريين وسحق كل بادرة أمل
 لديهم وكل إمكانية للتحرك
 عندهم. وإضافة إلى ذلك كلما ازداد جمال
 جبروتاً ودموية ازداد رعب الآخرين منه
 والآخرين قسماً قسم سيحكمه جمال
 دون رغبة منه وقسم سيظل خائفاً من أن
 يصل إليه جمال ؛ وبشكل خاص زعماء
 القبائل البدوية هذا سيجعلهم يزدادون
 التصاقاً بنا لكي نحميهم من جمال مثلما
 يلتصق بك الأطفال الخائفون من غول
 حقيقي

مايكس : وهل هناك غول حقيقي يا ميكس ؟

ميكس : هناك غول نحتاج نحن إلى وجوده لكي
 يخيف الجميع . وبهذا آتي أنا منقلداً
 ومخلصاً ونظيماً مثل ناب الذئب

ميكس : وكيف أقتع العسكريين بذلك ؟

يكبر : من ؟ الجنرال موراي ؟ غيرة
استبدله بأخر . أنا أعرف أن هناك اتجاهاً
في لندن لإرسال اللني إلى مصر أيد هذا
الإنهاء .

سكبر : تعتقد أن اللني سيساعد في تنفيذ خططك
؟ أنت لاتعرفه . لن يسمح لنا بالتقاط
أنفاسنا . أعرف ملامحه بين العسكريين ؟
الثور المائج .

يكبر : لاتبالغ . حتى لو كان ثوراً هائجاً أو
مجنوناً فهو قائد عسكري . سيسلم جيشاً
جديداً . لابد أن يكون لديه أسلوب
مختلف عن أسلوب موراي . وربما خطة
جديدة . سيحتاج إلى الوقت .

سكبر : أنت لاتعرف اللني . خلال شهر على
الأكثر يكون قد أتم استعداداته ورسم
خطته .

عرقه .

سكبر : أعرق عمل جنرال في جيشي أتوقع منه
أن يكسح جهة فلسطين ؟

ميكو

: ألم يقل إنه نور هائج ؟ الثور الهائج يزداد
هيجانا كلما أطلت فترة احتجاجه . امنح
الغول الفرصة لسحق السوريين وبعدها
أطلق ثورك الهائج عليه سيكون مشهداً
نادراً لأول مرة معركة بين ثور وغول .

"إطفاء على سايكس ويكو جمال يلف
فرجيلته وينهض بهدوء في عمق المسرح
الرجال معلقون على المشانق . يتقدم جمال
من مقدمة المسرح ووراءه المشنوقون
والحبال مازال في رقابهم وهم يغنون":

والمرجة لنا

زينوا المرجة

وهي مزينة

شاعنا لمرجة

جولة

: تقدم يارفيق رزق سلوم تقدم
لا تخف . هذه المشنقة هي أرجوحة الأبطال .

دقيق

: لست خائفاً . " يتقدم ويضع جبل
المشنقة حول عنقه . صمت يتطلع إلى
الجمهور "

والعرب لطي ولا سوربة دلوي

بن لم تهوا لقل الحق والثار

بن قوم عن قصي لا كلم أبنا

وكان خصمكم ، في المحشر ، الباري

لما لقي الله في الأرض عشو

كلها هو نهر في القلا جاري

لكن ظنا وعذرا بل وتضحية

عكم بأيدي وحوش كلها ضاري

حرفه : "تشدد" زهوا للرجة

قال : "بطلع إليهم صامتا ويتنظرونهم إلى أن ينتهوا من
الغناء" عملت عملية جراحية لقلب سوربة .
فإذا أن يؤدي قلبها عمله كما أحب ؛ وإما
أن تقف دفاعه إلى الأبد . في زمن كهذا
نصبح للمبادئ والقيم والأخلاق ترفا . هل
أنتم مترحمون لتعليق المشائق في بيروت
وفي الشام الشريف ؟ غدا ترون أنني
سأنصها في الحرمون الشريفين .

جولة : أكان من الضروري أن تعدم هذا العجوز
الفاضل؟

جمال : من؟ عبد الحميد الزهراوي؟ بودي لو
أعدمه مرة أخرى

جولة : مع أنه هو الذي أفتى حسب الأصول
الإسلامية بعدم صلاحية السلطان عبد
الحميد لأن يكون خليفة المسلمين

جمال : أعرف أعرف كان ذلك في الاستفتاء
الذي أجرته صحيفة (المؤيد) المصرية أنا
لاتمر علي هذه الألاعيب . صحيح أنه أفتى
بعدم صلاحية عبد الحميد لكنه قدم لذلك
٢٢ حجة تنطبق على عبد الحميد مثلما
تنطبق علينا كلنا . لماذا التنظيم والغلاظة ؟
سألوك : هل يصلح عبد الحميد ؟ تجيبهم
لا يصلح . انتهينا . من يطلب منك أن
تضع قانوناً للحكم ؟

جولة : لأجل هذا لم تعف عنه على الرغم من
انقطاع حل المشتقة به .

: الضمير لأن حبل المشتقة انقطع ؟ هذا
يحدثونه في الحكايات وليس عندي أنا . أنا
أفعل كما رأيتهم . أربط رجله بالحبال وأعيد
شنته حتى لو انقطع الحبل به ألف مرة .

جل

: إلى هذه الدرجة نحدد عليه ؟

جوة

: لا . ليس حقاً . بل هي مباراة يسني
وبينه . أردت أن أريه من منا أكثر عنادا .
الاتذكرون حين هاجم الجنود المجلس
النهائي وقتلوا محمد بك أرسلان بهاب
المجلس ؟ يومها دب الذعر بين النواب

جل

بعضهم قفزوا من التوافذ فتكسروا . إلا
زهرلويكم هذا . وحده ظل جالسا مكانه .
وأجلس عدداً ممن كانوا حوله . ثم نهض
بهلوه ومشى بين الجنود بثقة . تصور
أنهم عافوا منه أو استهينوا به . مر بينهم ولم
يخطر لواحد منهم أن يطلق عليه النار .
أنلس غمليون من هذا النوع
لا يلزموني . " بلغت إلى المعلومين
وبضحك " كان منظرهم مضحكا وأنتم
تلقون الخطب على منصات الإعلام .

كأنكم كنتم لاتصدقون أن العملية ستم
حتى النهاية

جولة كنت تفرج علينا ؟

جمال : أنا الحاكم ويجب أن أشرف بنفسي على
تنفيذ القرارات الهامة

جولة حتى الإعدام ؟

جمال خاصة الإعدام

جولة : لكي تشمت ؟ أما كان يكفيك أن ترى
صوراً وحشاً؟

جمال : هناك فضول مراقبة الموت .

جولة : ليس صحيحاً . الشوارع مليئة
بالموتى . كل صباح يجمع عمال البلديات
عربات مليئة بالجنث . الميتون بسبب الجوع
والطاعون وقطاع الطرق وضحايا جنودكم
وشرطتكم . أصلاً لم يكن هناك أي شيء
متوفر في حياتنا إلا الموت .

جمال : ولكن أنتم الذين تحذيتهم لإرادتي . كيف
خطر لكم أن تحلونني ؟ ألم تخافوا؟

خفنا طبعاً

جولة
جمال

أعرف أعرف . ولهذا هرب الشهبندر
والآخرون مثل الأرانب المذعورة ما الذي
كان يريده الشهبندر أكثر من أن أجعله
طبيبي الخاص ؟ ما الذي كنت تريده يا عبد
الكريم الخليل أكثر من أن تكون
مستشاري الخاص ؟ أنت كنت قريباً مني
وتعرفني جيداً . وكنت تعرف أنني
لا أرحم . لم أستطع أن أصدق هل من
المعقول أنكم لا تخافون ؟ أردت أن أتأكد
بنفسي أردت رؤية أقنعة الشجاعة
والتحدي وهي تتساقط عنكم

: ولكنك لم تستمتع . لم تستطع أن ترى
خوفنا .

جولة

جمال

استمعت برؤية خوف شعبكم الوجبة
الثالثة من الإعدامات وهذه المرة لن أترك
للسوريين من يسمعون له رأياً أو
يطلبون منه مشورة

جوة

والعائلات التي هجرتها ما الخطر الذي
كانوا يمثلونه؟ لم هذه الوحشية كلها؟

جمال

: يجب أن يعرف الجميع أنني لا أتورع عن
شيء. نحن في حرب. وما الحرب في
النهاية؟ وحشية. الوحشية يابني موجودة في
قوانين الطبيعة ذاتها ولا تفجئ إلا المغفلين

جوة

فأنت السفاح إذاً.

جمال

"يضحك" غول

جوة

: كان عبد الميـد بالأمس فرداً
فغدا اليوم ألف عبد الحميد

جمال

قولوا شعراً حتى الصباح هل تظنون أن
الشعر ما يزال قادراً على التأثير في الناس؟
يكفي أن أقول لهم هؤلاء كانوا عملاء
فرنسا لكي أقضي على سمعتكم

جوة

أنت قلت ذلك للناس ولكنهم لم
يصدقوك وما يزالون يرددون أقوالنا
ويعلمون في صلواتهم الآية الكريمة من
سورة الأعراف وأذن مؤذن بينهم أن
لعنة الله على الظالمين

: فاحيهم من سورة النحل : وما ظلمناهم
لكن كانوا أنفسهم يظلمون .

هل

: فضيف من سورة هود : هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين .

جوة

: تظنون أن القرآن لكم وحدكم ؟ أين
أسعد الشفوي ؟ "يدخل أسعد . " اسمع
باشيخ أسعد . أعد عليهم تلك الآية .

هل

: آية آية ياهاشا ؟

لمد

: تلك التي سمعناها ذلك اليوم وقلت لك أن
تذكرني بها .

هل

: لا تذكر ياهاشا .

لمد

: لا تذكر ؟ ماذا تذكر إذا ؟ إذا كنت
لا تذكر آية من القرآن وأنت المفسر العام ،
من سيذكر إذا ؟ أنا ؟ هل علي أن أحفظ
القرآن أيضاً ؟ كل شيء يجب أن أفعله
بنفسي ؟ هذا كتابكم يا حضرة المفسر .
كتابكم للكسوف بفتكم . تهملونه
وتطلبون منا نحن أن نحفظه . ومع ذلك

هل

تصرعون الدنيا بأنكم تريدون المحافظة
على دينكم ولغتككم و....

: ولا تحسبن الله بغافل عما يصنع الظالمون.

جودة

: اخبرم أنت يا شكري العسلي . أعرف
أنك قلت هذه الآية على المشنقة . "يلتفت
إلى أسعد" كيف تكون مفتي
الجميش الرابع ولا تحفظ القرآن يا شيخ
أسعد؟

جمال

: إنني أحفظ كتاب الله كله عن ظهر قلب
يا باشا

أسعد

: يحفظ كتاب الله كله ! يحفظه كله
ولا يتذكر الآية التي أريدتها منه . اسمع
يا شيخ أسعد . سأساعدك . إنها الآية التي
ساعدني بها الشيخ بدر الدين الحسيني من
أجل الفتوى بإعدامهم . الآية التي فيها
تقطيع الأيدي والأرجل والصلب والقتل .

جمال

: آ.. تقصد تلك الآية ..

أسعد

: طبعاً تلك الآية . هيا قلها لهم .

جمال

: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. بسم
الله الرحمن الرحيم . إنما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض
فساداً أن يقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف ويُنفون في الأرض .

: كفى . هذه هي .

: صدق الله العظيم .

: طبعاً صدق الله العظيم . " يلتفت إلى
الجموعة متصراً " أراهم ؟ أقصد :
استحجم ؟ أنا لم أفعل إلا ما تقوله الآية :
نزل وصلب ونفي في الأرض .

: ولكن هؤلاء لم يحاربوا الله ورسوله
هؤلاء كانوا يريدون تحسين أوضاع أبناء
ملتهم .

: هل تريد أن تلتف عنهم يا شيخ أسعد ؟

: أنا ألتف عنك يا هاشم .

: عني أنا ؟

اسعد
أخاف على عظمتكم بعد أن أيقظتم هذا
الخوف كله عند الناس

جمال
أنا لا أعالج الخوف إلا بالمزيد من
الخوف. مثلما قال شاعركم ما اسمه؟
قال: داوئي بالتي كانت هي الداء
سأجعل شعبك ينسى هزيمتنا في القناة
وهذه الإعدامات لكثرة ما سيخاف كل
منهم على نفسه أين بهاء؟ "ينادي"
يا بهاء اسمع سأذهب في زيارة إلى القدس.
من من أسر هؤلاء المدومين في طريقنا إلى
القدس؟

بهاء
في جنين هناك حافظ باشا المحمد العبد
المهادي .

جمال
: هل أعدمتاه ؟

بهاء
: لا يا باشا . أعدمت ابن أخيه سليم الأحمد .

جمال
: لاشك أنه يقيم الآن مأتماً على ابن أخيه .
أرسل إليه أنني سأمر بجنين وأنا في طريقني
إلى القدس .. وأبلغه أنه هو نفسه المسؤول
عن استقبالي . سأكون ضيفه .

: مفهوم باباشا .

: هل نسيت ، عظمتكم ، أن أنور باشا
قادم إلى الشام ؟

: "ضحك" لم أنس . أنور قادم على
أسس أنه الكبير الحكيم القادم لحل
للمشكلة التي وقعت فيها ولم أعرف كيف
أخرج منها. الحقيقة هو قادم ليشتت بي
ويخترني. يقول: "يقلد أنور" مسكين
باجمال. فزمت على جهة القناة وكسبت
علاء شعبك . وما هي الفوضى حولك في
كل مكان . هذا غور لا تق. دعنا نساعذك
باصغوي. ولا سنرسل بديلاً عنك .
سنضع مكاتك طرطوراً يصبح تابعاً لنا . "
يعود إلى صوته . " لا باباشا . ما حذرت .
" للأخرين " حين يأتي أنور باشا لن يجد
في استقباله إلا الخوف. حتى هو لن أعطيه
الفرصة للسمكة بي . سأفطره قبل أن
يغذي بي. "ضحك ويمثل كأنه يتحدث
مع أنور باشا " أنا لم أنقد في حملة

السويس إلامني قتييل . بالتحديد ٢٠٢
بينهم ١٤ ضابطا

جولة كذاب (١١٠٠) قتييل في الاشتباكات
وحدها

جمال : " يتجاهله " والمرحسى ٣٨١ بينهم ١٥
ضابطاً

جولة سبعة آلاف جريح

جمال " بكم غيظه " وفقدنا ٧٢٧ لانعرف
أين هم .

جولة : في مصر وحدها ٨٠٠ أسير

جولة : هل أحصيت في عداد المفقودين أولئك
الذين تاهوا فمات معظمهم في الصحراء ؟

جمال : هؤلاء هاربون من الخدمة . وسأعلمهم
حتى لو كانوا قد ماتوا .

امعد : دعك من مجادلتهم يا باشا أنور باشا
يعرف ذلك كله .

جمال: نعم . أنور باشا . سأقول له : كم كانت
خسائركم في حملة القوقاز يا باشا؟

"بضحك مجدداً ويخاطب الجمهور الآن أنه
يتأمر معهم " من الجيش الذي كان يبلغ
مئة ألف لم يعد إلا عشرة آلاف. هل
يقارن هذا الرقم بخسائر التافهة في
سيناء ؟ سأحطه بتهرب من ذكر الحرب
ويقتصر على المظاهر والولائم . ولن
يستطيع أحد مقاسمتي سلطتي .

" منذ الآن نلزمه بمحامية إلى ما قبل
النهاية " يعني أنها الهزيمة النهائية .

د د

لا باعزيزني . ليست هناك هزيمة نهائية
لهزيمة مجرد تجربة لم تنجح . استفدنا
عرفنا طريقة غير ناجحة . نجرب غيرها
نظل نجرب حتى تنجح . هل يتخلى العالم
عن علمه إذا فشل في تجربة ؟

ج د

: أنت نجرب بالبشر . بشر لهم إرادة
ومشاعر .

د د

: سأفني إرادتهم ومشاعرهم . وبعد ذلك
أحرب على راحتي . ألم تسمعي بالوالي
الذي أراد أهل دمشق أن يشتكوا عليه ؟

ج د

قال لهم أنا عبأت نصف التنكة ذهباً ولم يبق الكثير لتمتلي. اصبروا علي بدلاً من أن يجيئكم وال حديد بتنكة فارغة ويبدأ بتعبثها من حديد يجب أن يصبروا علي أنا أيضاً حتى أنهي تجاربي . " يهتف " والآن إلى الهجوم المعاكس .

بهاء " يقترب متحمساً " على الإنكليز من جديد ياباشا ؟

جمال أي إنكليز يا غبي ؟ هجومنا المعاكس الآن على الشعب السوري اسمع يا شيخ أسعد. سنشكل وفداً برئاسةكم يضم علماء الشام ووجهاءها لزيارة جبهة جنات قلعة ستقدمون بعض الهدايا لجنودنا البواسل وتحدثونهم بما يرفع معنوياتهم . أصلاً سترفع معنوياتهم حالما يرونكم معهم في الجبهة اسمع يا بهاء يجب أن يكون أعضاء الوفد من مناطق سورية كلها ما يهمني منهم ليس أن يزور الجبهة بل أن يخبروا أمل أعدائي في اسطنبول. أريد أن يفقد هؤلاء الأعداء آمالهم التي علقوها على فشلي في

منورة الزعة . اكتب عندك : عن دمشق
أبو الخير عابدين وعبد المحسن الاسطواني
وعطا المجلاتي .

: هناك عائلات أقوى يا صاحب العظمة

: صحيح . ولكن العائلات الأقوى التي
تفصلها ستحمر . وبعض أبنائها سيعلقون
على المشائق . هذه العائلات القوية يجب
محوها . من نرسل من حماه ؟

: شخص من بيت الكيلاتي .

: أحسنت . أحمد الكيلاتي ومعه المفتي
توفيق الأناسي . ومن حوران محمد الزعبي
ومحمد الحلبي .

: الأترسل أحداً من الجزيرة السورية ؟

: لا . من اللاذقية فقط . من نرسل ؟ من
نرسل ؟ نعم . نعم . محاسن الأزهرى .

: من هنا ؟

: مالك ولعله الأسطة ؟ اكتب ما تسمعه
مني . ولا تشغني . من حلب نرسل بدر

الدهين النعساني وعبد اللطيف الخزنسدار
ومن عنتاب المفتي عارف العنتبلي من
بقي ؟ بيروت من سنرسل من بيروت ؟
بكفي المفتي مصطفى النحسا . ومن
طراهلر ..

: عبد الكريم عويضة .

يهاء

: أحسنت . نتقل الآن إلى الجنوب . من
عكا ابراهيم العكي وعبد الرحمن عزيز .
ومن حيفا المفتي محمد مراد وعبد الرحمن
الحاج . ومن ناهلر نقيب الأشراف رفعت
تفاحة .

جمال

: نسيت القدس ياهاشا .

يهاء

: لا . لم أنسها . من القدس سنرسل المفتي
طاهر أبو السعود . والشيخ علي الرماوي
ماذا يظل لدينا ؟ أضف إليهم الشيخ سليم
اليعقوبي من يافا .

جمال

: أعتقد أن جبل لبنان غير ممثل . مارأيكم
بعبد الغفار تقي الدين ؟

يهاء

: عظيم . وأضف إليهم مفتي الموصل
الشيخ حبيب العبيدي .

جل

: هل استطع أن أضيف الشيخ تاج الدين
الحسيني ؟

يه

: معك حق . وأضف أيضاً الشيخ عبد
المقادر الخطيب . بكفي . «

جل

: هل نرسل معهم رجال خفية ؟

يه

: لا . أرسل صحفيين فقط . « أرسل
حسين الحمال صاحب جريدة أبابيل
ومحمد البقر صاحب جريدة البلاغ في
بغداد وعبد الباسط الإنسي صاحب
جريدة الإقبال ومحمد كرد علي صاحب
جريدة للقبس في دمشق . « حين يعلم
هؤلاء العلماء والوجهاء أن كل ما يقولونه
يفعلونه سوف ينشر في الصحف فلأنهم
سبحسون حساب العودة إلى الشام .

جل

: وماذا لو قاموا باتصالات ؟

يه

: أنت لا تفهم . سيأتي كل منهم لكي
يلفتني بما فعله الآخرون . هؤلاء لا يحتاجون

جل

إلى من يتجسس عليهم . هم جواسيس
أنفسهم .

: "ضاحكاً" وبأنيك بالأخبار من لم تزود.

بهذه

جمال

المنطوعون كثيرون يابهاء في اليوم
الأول لو صولي إلى دمشق تلقيت ٣٩٢
وشابة من سورين بحق سورين كل
واحد من هؤلاء الوجهاء الذين تراهم
حولك مستعد لأن يعمل عندك مخيراً
منطوعاً تصور أنني خلال إقامتي في
القدس بعد العودة من سيناء استلمت ما
يزيد على أربعمئة وشاية؟ حتى أسعد
الشقمري جاء وأبلغني أن ثورة ستقوم في
جنوب لبنان تمهيداً لدخول الحلفاء. أعرفت
الآن لماذا أعجبني ذلك البيت من الشعر ؟
دائماً هناك من لن تزود وخاصة حين
تزيد جرعة الخوف . هيا . فلنحرك آلة
الخوف والبطش ثم نجلس هنا باسترخاء
لمتابعة النتائج . تعال نتفرج « " يجلس
وحده " ذات يوم أراد أحد الحكام أن
يتباهى بما حققه ، فعرض أمام ضيوفه

كيف يجمع في جعل الحمار فيلسوفاً . ولكن
 أحد الضيوف قال له : ليست العظيمة أن
 يجعل الحمار فيلسوفاً بل أن تجعل
 الفيلسوف حماراً. " يضحك ، ويبدأ
 يتدحرج نرجسته وهو يتفرج . يتحرك الوفد
 فتظم منه الجوقة ."

الجوقة

فولوا للباب العالي

فولوا للباب السلطان

ضحك يلا اليا اليا العالي

مقهود جوعان

لوصت لنا هذا الوالي

قلل الأرطان

وسلوه : كذا هلي الحرب ؟

وعلى من يقع الضرب ؟

" يظم في أول المجموعة وهو ينحني
 للسلطان . ولا مانع من أن يفرض أن جمال
 هو السلطان . ثم يبدأ خطابه . " إن الوفد

أحد

قد جاء لرفع الإخلاص لأعتاب السلطان
 وذكر ما فعله القائد المصلح جمال باشا قائد
 الجيش الرابع من الإصلاحات التي سيزين
 بها التاريخ الإسلامي. وخاصة بعد نعمة
 دخول الحرب. هذه النعمة التي قوت
 تضامن العرب والأتراك تحت راية الإسلام.

جمال

" هاتفاً كأنما لنفسه " فليعلُ صوت
 الخوف على صوت الاحتجاج لن أترك
 لهم الفرصة حتى للحزن على المدومين
 ولا حتى للسؤال عن أخبار الحرب أو
 الشماتة بنتائجها ، سأجعل كلاً منهم
 يستسقط كل يوم وهو لا يضمن أن ينام في
 بيته أو أن يجد رأسه على كتفيه عند
 المساء. يا بهاء. هل انتهيت من تهجير
 العائلات إلى الأناضول؟

بهاء

: هجرنا عدداً لا بأس به بإصاحب العظيمة.

جمال

: لا بأس به ؟ ماذا تعني هذه الكلمة ؟ عدد
 لي أسماء العائلات التي هُجرت

: تم نهجر عائلة المويدي وعائلة العظم
والجزائري والكيلاني والشمعة .

: فقط ؟ هؤلاء فقط ؟ كانت أمامي قبل
فترة أسماء ثلاثية عائلة .

: وتريد نهجرها كلها باباشا ؟

كلها ؟ طبعاً كلها . هل نحن نلعب
بابهاء ؟ أضف عائلات عبد الهادي
والحسين وحيدر والمطران والعايد . أريد أن
يكمل العدد إلى ثلاثية عائلة مثلما كان
العدد أمامي .

: وأين سيتم هؤلاء كلهم باباشا ؟

: مخالف من أن تحدث أزمة سكن في
الأناضول بابهاء ؟ لا تخف . سيسكنون في
بيوت الأرمن الذين هجرناهم .
وبيوت للمهجرين هنا تصلح لمكاتب الجيش
وسكن قضاة . أليسوا خيرة العائلات
السورية ؟ هنا يعني أنها أغنى العائلات .
أي أن يورثها فاحرة وتليق بباشواتنا .
أعرف منطقة سوري ————— ساروجا ؟

سأجعلها فعلاً اسطمبول الصغيرة. لن
يسكن فيها إلا أكابر الأتراك. نفذ يا بهاء
نفذ. ولا تنعني بالكلام دعني أتابع
أخبار الوفد إلى الأستانة

جودة

قولوا : إن الحرب أتتنا

لهفتنا

ما تركت لنا إلا المعدم

فكان الحرب علينا

قولوا عنا

فالقول لدينا اليوم محرم

إن قلتم عنا

منحس بأننا فيكم لتكلم

لمعد

: " يتابع خطابه " ولما حزم المرجفون بأن
سوء الظن قد خامر قلوب العنصريين ولم
يبق مكان لقلع جنوره قضت الحكمة
الإلهية والقدرة الربانية إعلان النفر العام .
ورافى للبلاد السورية أنحركم الوزير الكبر

للمصلح جمال باشا فوقف على أمراضها
 وعالجها معالجة حكيمة. فأوصل الحقوق
 لأربابها وشيد المدارس وفتح الطرق وعمل
 بروح الشريعة الإسلامية فأمن روع
 الخائفين وأحسن إلى الفقراء وسمع شكوى
 المظالم. فعابت ظنون المنافقين المرحفين
 ونبت لديه صدق الصادقين. وقد يكون
 وصل إليكم أيها الوزراء الأكارم ما
 تتلوه الألسن من ثروة الثرثارين بطلب
 الإصلاح مهولة موهمة. فإن كانت
 المظالم قد أوجعت في نفوسكم شيئاً من
 ذلك فهو لاء علماء البلاد وأعظمها
 وأركانها المعتمد عليهم يحيطون بكم.
 وهم الذين ارتبطت بهم قلوب مختلف
 الطبقات من أشراف وأعيان وتجار وزراع
 وعامة. وكلهم يشهدون بشدة تعلقهم
 بالدولة وشكرهم على إلهادي جمال باشا
 البيضاء وإصلاحاته وتقنهم به.

: بهاء . أبداً حملة الاعضالات . سنعلم
 الوجهة الثالثة . لانس فارس الخوري .

حاضر يا باشا

يهاء

جمال

اسمع أنا لا يعنيني كثيراً أن تعتقلوهم ثم
أمر بإعدامهم . أريد أن أذلهم . لكسي
يعرف الجميع أنه ليس هناك رأس كبير
في سورية الجميع تحت رحمتي . وتحت
حذاشي . يجب أن يُسمع في الشوارع
صراخ هؤلاء الزعماء المحترمين عند الشعب
واستغاثاتهم .

خطيب

آخر : يجب على مجلس النظارة والحزب
توجيهه انتقدياً لجمال باشا وإظهار الثقة به
أمام الملأ وتأكيد الاعتماد عليه قطعاً للثروة
ومنعاً لأراجيف المرحفين .

: واعتقلوا أيضاً شكري القوتلي . أريد أن
يمتلىء خان أسعد باشا عن بكرة أبيه .

جمال

: تحت أمرك يا باشا .

يهاء

جوة

قولوا إن الزعمان

حكموا الأوطان

قولوا إن الناس تهان

والقهر يعنى دينا

مثل دخان

لم يبق لنا حق ليسان

قولوا إنا جعنا

وظلمنا

وتعتزنا

ونعمرنا

لم يبق لنا ما يسترنا

بعنا حتى الأكفان

صحفي "يقرأ لجمال باشا من صحيفة " ومما قاله
الخطباء بعد الشاء على جمال باشا وحسن
إدارته وسيرته وأعماله وحزمه إنه لو تولى
شؤون البلاد مثله لما وجد المموهون مجالا
للتفريق بين أبناء الوطن الواحد والصيد في
الماء العكر . وإن سورية قد رجحت بفضله

أعظم الأرباح وبعده كانت الكلمة
للأديب الأريب محمد كرد علي فقال

الكرد علي : " يخطب " إن بلاد الشام مرتبطة كل
الارتباط بالدولة ومثنية كل الشاء على
جمال باشا وسيرته ووثقة به كل الثقة
ولا يشذ عن ذلك إلا نفر من الخائنين.

جمال : واعتقلوا الكتور أحمد قدری " يتطلع إلى
حيث الخطباء ثم يلتفت إلى الصحفي "
من هذا ؟

الصحفي هذا شاعر اسمه علي الريمائي

جمال يكفي يكفي لا أريد أن أسمع الشعر
كلام العرب العادي صعب علي فكيف
بالشعر ؟

الصحفي لا تستعجل يا باشا هذا شعر مفهوم
وسيسرك أن تسمعه

جمال : فلنسمع إذاً . ولكن أضف إلى المعتقلين
أمير اللواء عبد الحميد القلطقجي وزكي
بيك العظمة

الرمحاي

سعيتم فقربتم بني العرب منكم

وقلتم هم الأخوان في الضر والسرا

فكانوا لكم إزراً على كل خارج

عدو ، وما كانوا وحقكم وزراء

يعدون هذا المثل منهم وفيهم

وما ينقمون الترك سراً ولا جهراً

يعوتون إن متم ويحيون عندكم

وهم أعوانكم في السر والضر

جمال "يضحك" في الحقيقة لم أفهم شيئاً.

ولكن لا بأس هل هناك شعراء آخرون ؟

الصحفي نعم ياباشا هناك الشاعر المتحدث باسم

الصحفيين . حسين الحبال اسمعه ياباشا

هذا ستفهمه .

مراسل "يدخل" ياباشا ياباشا

جمال "يلتفت إليه غاضباً" ما بك تدخل إلي

كالجنون ؟

مراسل يا باشا لقد انتحر أحد المساجين في
 خان أسعد باشا

جمال " دون اهتمام " فلينتحر أنا أصلاً كنت
 سأعدمه من هو هذا المستعجل ؟

مراسل شكري بك القوتلي يا باشا
جمال مجنون كان يستطيع أن يعيش عدة أيام
 أخرى هل انتحر لأنه لم يتحمل
 التعذيب ؟

مراسل بل انتحر لكي يتجنب التعذيب أفاد
 الدكتور أحمد قدرى المسجون معهم أن
 القوتلي قال إنه سيموت قبل أن يسمح
 للسجان بسماع صراخه وهو يتألم

جمال " يضحك " ولم يبخل علينا بسماع
 صوته ؟ قد يكون صوته جميلاً " لبهاء "
 ألم يكن صوت شكري العسلي جميلاً
 يا بهاء ؟

بهاء جميل يا باشا

جمال

بخاصة وهو يركض في صحن الخان تحت
الكرباج . ولكنه لم ينتحر وشكري
الأيوبي تحمل التعذيب في خان البطيخ
الذي انتحر هو شكري الذوتلي لماذا ؟
كان يجب أن أستمع بسماع صوته وهو
يتعذب "تعلو حدة صوته تدريجياً . " من
سمح له بالانتحار ؟ كيف ينتحر ؟ ماهذه
الفوضى ؟ هل نحن بلد منظم أم خان
دواب ؟ حتى في خان أسعد باشا يجب أن
يكون هناك نظام وأن لا يحدث شيء إلا
بإذني

مفهوم ياباشا

مراسل

جمال

: من المسؤول عن المساجين في الخان ؟ أريد
أن أراه اليوم على الخازوق مفهوم ؟
يجب وضع حد لهذه الفوضى . تصور ماذا
يحدث لو أن الجميع يفعلون مثل شكري
القتولي . أن يقرر أي إنسان منهم أن
يموت ساعة يشاء . ماذا أشتغل أنا إذا ؟
أفهمني . أتعرف ماذا يعني انتحار شكري
القتولي ؟ يعني أنه يقول لي طز نعم .

طرز طرز في عظمتك ودولتك هأنذا
أموت ساعة أشاء ولا تظلل لك سلطة علي.
اسمع . لاتقولوا لأحد إن القوتلي قد انتحر.
علقوه على المشنقة حتى وهو ميت.

مراسل
جمال
ولكن شكري القوتلي لم يميت ياباشا
لم يميت ؟ أما كنت تقول قبل قليل إنه
انتحر ؟

مراسل
قلت ياباشا . ولكن عظمتكم لم تتركوا
لي الفرصة لكي أقول إنهم نقلوه إلى
الإسعاف

جمال
ولماذا يسعفونه ؟ شخص يخالف أوامري
يجب أن لايساعده أحد . يموت مثل
الكلب

مراسل
: ياباشا . قال المسؤول عن المساجين في
الخان إننا يجب أن ننقذ حياته

جمال
: الحيوان بهاء . لاتنس أن تخوزق لي
هذا المسؤول لكي لايتفلسف مرة أخرى
ويخترع القوانين كما يشاء أنا أصدر
القوانين وأنا أحيي وأميت

استغفر الله العظيم

جودة

أقصد : أنا أصدر الأوامر بالموت والحياة.

جمال

: هو قال ذلك يا باشا

مراسل

من قال ذلك ؟

جمال

مسؤول السجن يا باشا

مراسل

ماذا قال ؟

جمال

قال إن قرار الموت والحياة بيد جمال باشا وحده . لذلك يجب إنقاذ حياة شكري بيك القوتلي لكي لا يموت إلا بإذن الباشا.

مراسل

جمال

" مرتاحاً " يفهم . هذا المسؤول يفهم بهاء . ذكرني لكي أمر له بمكافأة كلام جميل . لا أحد يموت أو يعيش إلا بإذني . أنا أقرر الموت والحياة . أنا . ولا أحد غيري . يجب إنقاذ القوتلي لكي لا يموت إلا بإذني . أنا أنقذه لكي أعدمه حين أريد . حتى الانتحار يجب أن يكون بأمرى . حين أريد لشخص ما أن ينتحر أنا أعطيه أمراً بذلك . أنا حاكم هذا الشعب . ولذلك يجب

أن يكون مصيره في يدي في يدي أنا
أنا أحبي وأميت أنا أطمع وأحرم أنا
أسكن وأشرد

ولم هذه القسوة كلها ياباشا ؟

دود

جمال

هذه ليست قسوة يا غزالي هذا هو
التنظيم والنظام ويجب أن لا ينسوا أبداً أن
ما يسمونه الاستبداد منظم أكثر من
الحرية. الحرية فوضى يجب أن يرتعد
الجميع أقصد يرتدع. أيهما الصحيحة
يابهاء ؟

الاثنان صحيحتان ياباشا

بهاء

نعم يجب أن يرتعدوا ويرتدعوا نحن في
حالة حرب

جمال

" في الطرف الآخر من المسرح يقترب
من سايكس " أما قلت لك ؟

يكو

معك حق .

سايكس

الآن تستطيع أن تفلت ثورك الهائج
أطلق العنان للألنبي ودعه يفعل

يكو

ما يريد. خصمه الآن معزول عن شعبه
وقد نفذ لنا ما كنا سنضطر لفعله بأنفسنا
قضى على عناصر الشعب التي كان من
الممكن أن تزعمنا في المستقبل

وهكذا نحكم شعباً تريد أن تحارب به ؟
لماذا سيحارب هذا الشعب ؟

دور

:بحارب لأنني أريده أن يحارب. ليست
هناك هزيمة نهائية . وأنا أقدر متى تكون
الحرب النهائية.

جل

قولوا : لم نعلم

حرفة

شيئاً عن هذي الحرب

ولم نلهم

نعرف أنا بالأمس هزمتنا

وعلنا لا بد منهزم

:يجب أن نقضي على القروض لكي أعرف
كيف أرد على هذه الخزيمة . يجب أن
يكون الشعب منضبطاً ومستحيماً مثل
الساعة . هل سمعتم ما قاله الوجهاء العرب

جل

في الأمانة ؟ هكذا يجب أن يكون الجميع .
أسمعوني شيئاً آخر "لبهاء من الهادي
كان سينكلم ؟

بهذه : الشاعر والصحفي حسين الحبال
جمال أسمعني .

الحبال

جمال الدين والدنيا معا
همة يهوي لها الأعداء مشجعة
أحببه الشمس ضياء فهدا
من مناه بالعالي ألف فرقد
هذه آثاره لا تقف
عن علاه ، وله التاريخ يشهد
قله بالسعد والعز تزيد
وهو بالنصر وبالقبح مزيد

"ينهض معتزاً بنفسه . يتطلع إلى
 المجموعة. " أما قلت لكم ؟ هل سمعتم
 ماقلوه ؟ لا . ليس الخوف هو الذي دفعهم
 إلى ذلك . لماذا تشككون بكل شيء ؟ لماذا
 لا يكون السبب أنهم يحبونني فعلاً ؟
 وهؤلاء الأوباش الذين أعدمتهم كانوا
 نشازاً تخلصت منه . وهأنا الآن مع الشعب
 معزوفة جميلة منسجمة " يتقدم إلى الأمام
 حيث تمسك له روز مرآة كبيرة مبالغ فيها .
 يتكلم معها وكأنه يكلم نفسه " وما المانع
 في أن يكونوا معجبين بي ؟ ألا أثير
 الإعجاب ؟ ماذا ينقصني ؟ هيبة ووجه رضي
 وسماحة . ماشاء الله . أنا واثق أن شعبي
 الحبيب يرى في جانباً قدسياً ألا توافقيني ؟
 ولم لا يكون في فعلاً جانب قدسي ؟
 تصوري كم سيكون هذا الشعب مسروراً
 حين يعرف ، مثلاً ، أنني من سلالة النبي .
 سيحس بالفخر حاكمه ليس أقل من هذا
 الدعي الشريف حسن الذي يقول إنه من
 سلالة الرسول . ثم أنا لأزيدها حكام

سابقون كانوا يدعون أنهم آلهة ألم يدع
الاسكندر المكدوني وجنكيز خان ذلك ؟
" بسخرية " ماذا؟ قال هذا ابن إله وذاك
ابن إله. الآلهة لا ينجبون الأبناء ولكن
الأنبياء ينجبون " يتقدم أسعد . جمال رآه
في المرأة يلتفت إليه " أهلاً أهلاً
بركاتك مولانا

أسعد بارك الله فيك

جمال كيف كانت رحلتكم إلى الأستانة ؟

أسعد ميسورة بفضل الله . لقد قمنا بزيارة
الجبهة و....

جمال أعرف . أعرف . تفاصيل رحلتكم أعرفها
كلها.

أسعد وكيف عرفتُم يا باشا؟

جمال : الله سبحانه وتعالى يكشف عن بصيرة
المؤمن . أليس كذلك يا شيخنا ؟

أسعد :إن شاء الله .

جل : قل لي يا شيخ أسعد . هل ترى أني
مؤمن؟

أسعد : إن شاء الله ياباشا . إن شاء الله . الله
أعلم بما في الصدور .

جل : أتعرف يا شيخنا أني رأيت رؤيا غريبة ؟
قل : اللهم صل على النبي .
أسعد ألف الصلاة والسلام .

جل : رأيت اللهم صل على النبي أن فارساً
بعمامة خضراء وسترة خضراء على ظهر
فرس خضراء . هل يمكن أن يكون هذا
سيدنا الخضر ؟

أسعد : العلم عند الله .

جل : وقف أمامي كما تقف أنت الآن وقال
لي : ألم تعرفني؟ حمدت ولم أعرف بماذا
أجيبه . فأضاف أنت لم تعرفني لأنك
لا تعرف نفسك . إكشف عن نسبك .
لا تترك الجواهر غبابة ومطمورة . ثم لوى
عنق جواده وانطلق مبتعداً ليتركني في
حزني . ما تفسر ذلك يا مولانا ؟

العلم عند الله ياباشا

أسعد

قال : أنت لم تعرفني لأنك لا تعرف نفسك . ألا يعني هذا أنني مثله ؟ هو نفسه قال ذلك.

جمال

يجوز ياباشا يجوز

أسعد

ثم قال : اكشف عن نسبك . ألا يعني ذلك أن نسبي من نسبه؟

جمال

العلم عند الله ياباشا

أسعد

: وأنت ماذا تقول يا شيخنا ؟

جمال

: ماذا تريدني أن أقول ياباشا؟

أسعد

: تنتظرون أن أقول لكم ما أريد ؟ أنا

جمال

لا أريد شيئاً . ولكن الحقيقة واضحة مثل

عين الشمس . سيدنا الخضر يطلب مني أن

أكشف عن نسبي . ونسبي ، كما قال

أمامك الآن ، در مكنون . جواهر مخبأة

ممكن أن يكون نسبي ؟ الخضر نفسه

نبي شبيهاً به ألم يقل أمامك : إن

نبي بنسبي مثل معرفتي به ؟

أسعد يجوز يا باشا يجوز
جمال والآن . من من نساء الرسول كانت
تركية ؟

أسعد لأعرف يا باشا
أسعد لاتعرف ؟ ماذا تعرف إذا ؟ نبيكم
ولاتعرف زوجاته ؟

أسعد يا باشا لاتعذبني الله يخليك . قل لي ماذا
تريد وأنا أخدمكم بعيوني ؟

جمال ألم تعرف ماذا أريد ؟ أريد زوجة ،
أوجارية ، تركية كانت عند رسول الله .

أسعد لماذا يا باشا ؟

جمال لأنها أمي يا شيخنا أمي فهمتها الآن ؟

أسعد فهمتها يا باشا . فهمتها

جمال : عظيم . من هي ؟

أسعد : ولكن يا باشا لم يُعرف عن رسول الله
أنه أنجب أبناء إلا إبراهيم . وقد مات
إبراهيم صغيراً . يعني النسب مقطوع من
هذه الناحية يا باشا

جمال
كل من عرفهن الرسول من زوجات لم
يلدن له إلا ابراهيم ؟ ما هذا الكسل ؟
أسعد
وقاطمة أيضاً.

جمال
وزوجته التركية ؟

أسعد
:الحقيقة ياباشا لست متأكداً مما إذا كان
عند الرسول زوجة تركية . وحتى لو
كانت هناك تركية لست واثقاً مما إذا
كانت قد حبلى

جمال
حبلى ياشيخنا حبلى

أسعد
"مرتبكاً" أنا ياباشا ؟

جمال
أنت غيرك لا يهم .

أسعد
أعوذ بالله ياباشا هؤلاء أمهات
المؤمنين .

جمال
: على رأسي أمهات المؤمنين . ألسنا كلنا
مؤمنين ؟ هن أمهاتنا إذا . وهذا ما تريد
إثباته . اسمع . إذا كانت مسألة زوجات
الرسول مربكة فتش عند أهل البيت ، عند

واحد من الصحابة. اعثر لي على زوجة أو
جارية تركية وحبلها

لا إله إلا الله

أسعد

جمال وهذه صعبة أيضاً؟ يا أخي منذ أيام
المعتصم والنساء التركيات يجلبن عندكم
وينجبن أمراء وخلفاء وملوكاً. وكلهم
تنتهي أنسابهم إلى الرسول أو العباس أو
غيره من أقرباء الرسول. لماذا تصعبها علي
أنا؟ هل ستجعل النساء التركيات الآن
يستشرفن لكي تقطع نسبي؟

: في البلاط العباسي تهون المسألة يا باشا
يمكن العثور على نسب يفضي إلى العباس.

أسعد

: مسكين هذا العباس. حيطه واطي الكل
يتعربشون عليه لابأس. العباس
،علي، محمد. لا يهم. المهم أن تعثر لي على
النسب.

جمال

إصرارك على المرأة التركية هو الذي
يعقد الموضوع.

أسعد

ماذا تقصد؟

جمال

أسعد أقصد لو أنك تنتسب إلى امرأة عربية
لهان الأمر

جمال ولماذا العربية ؟ تريدون أن ينتهي كل
شيء إلى العرب ؟ يا أخي أريدها تركية.
وأريد أن ينتهي نسبي إلى الرسول أو
أحد أقربائه فهمتها أم لم تفهمها ؟

أسعد ولكن يا باشا كيف سيتصل النسب إلى
الوقت الحاضر ؟

جمال أهذا شغلي يا شيخ أسعد ؟ ماهو شغلك
أنت إذا ؟ فتش في التاريخ جيدا وستعثر
على كل شيء . يا أخي يجب أن تدرسوا
تاريخكم هل ندرسه نحن نيابة عنكم ؟
هل ستظلون تتركون تاريخكم للأجانب
ليدرسوه ويشوهوه ؟ ادرس التاريخ جيدا
يا شيخنا واعثر لي على شجرة النسب. تدبر
أمرك وإذا كانت قبل العباسيين يكون
أفضل كلما عدت إلى الوراء واقتربت
من الرسول ترجحي أكثر فهمنا ؟ هيا
يا شيخنا. اعثر لي على هذه المرأة التركية

وحبلها . وبالحلال يا شيخنا . حافظ على
شرفها لاتنس أنها أُمي . "جمال ينصرف ."

"يلتفت إلى الجوقة " ماذا أفعل ؟ "
لا يجيبون " ماذا أفعل ؟ " يمسك واحداً
منهم . " انصحي . قل لي ماذا أفعل ؟

حبلها

أسعد

جوقة

" ينهار أسعد على أرض المسرح "
حسبي الله ونعم الوكيل .

أسعد

حبلها فهي ستجبل

جوقة

إن كان الوالي

يطلب أن تجبل

وإذا مانعت

فغيرك يقبل

حاشية الوالي لا تحفل

إن زمر هذا

فالآخر طبل

والبلد على قد الوالي

سوف تُفصل
والبلد تصير امرأة
تستقبل نزوته
لا تخجل

إن شاء لها أن تحبل
فستحبل

وبلا دنسٍ أو نفخ تحبل
فيها سيزين ماضيه
وبها يضمن مستقبل
لا تستنكر

مثلك لا يمنع ما يجري
إن بسمل أو حوّل

غيرك يفعلها فافعلها
غيرك يعملها فاعملها
حبّلها يامولانا

حبّلها .

جوقة

أنت تعرف أن هانيبعل كان أعور
وكانت ظاهرة التماثيل للحكام والعظماء
منتشرة واحترار الفنانون كيف يرسمونه
كل من صورته أو نحت له صورة وظهرت
عينه العوراء فيها لاقى حتفه بعضهم
استعاض عن العين بشمس أو زهرة
ولكن هذا لم يفدهم في شيء . إلى أن عثر
أحدهم على الحل نحت له صورة جانبية
تظهر عينه السليمة وحدها يعني اعتبر
العين الأخرى غير موجودة

جمال

"يظهر راضياً يتمشى يصمت ويبدأ
الآخرون بالتجمع حوله " ما بكم ؟ لماذا
اجتمعتم ؟

جوقة

طلما أنك راض عن الشعب الآن لماذا
لا تجري انتخابات لممثلين عن هذا
الشعب؟

جمال

أية انتخابات ؟ ولماذا الانتخابات ؟

جوقة

لكي تسمع رأي الشعب .

نحن في حالة حرب لاوقت لدينا لرأي
الشعب .ألا يعجبكم من أو كل أموركم
إليهم ؟

جمال

لكنكم أجريتم انتخابات

جوقة

كان هذا قبل مجيئي إلى سورية كانت
معركة بيننا نحن الاتحاديين والائتلافيين

جمال

وما المانع ؟ نرى الانتخابات التي
أجريتوها قبل مجيئكم إلى سورية

جوقة

: " يتمشى بينهم بينما هم يأخذون
أماكنهم بعد أن يتناول كل منهم ما يشير
إلى أنه أحد الوجهاء طربوش، حزام ،
شوارب ، لحى .. إلخ حمدو الخادم يدور
بالقهوة عليهم. " لقد جمعتكم أيها
الذوات والباشاوات لكي تساعدوني في ما
قررنا أن نفعله .إننا ، وإيماننا منا بالشعب،
قد قررنا إجراء انتخابات نياية لاأريد أن
أعطي مجالاً بعداليوم لأي مغرض أن يطول
لسانه علينا ويقول إننا نتجاهل إرادة
الشعب أو إننا نحكم شعباً ليس له من يمثله

جمال

يبتنا . وإن حزبكم ، حزب الاتحاد
 والرفي ، سينزل إلى الانتخابات معتمدا على
 ثقتكم وثقة الشعب . وأنتم تعرفون مبادئنا .
 إنها الحرية والمساواة والعدالة ما رأيكم ؟
 مبادئ جميلة أليس كذلك ؟ والمصيبة أنه
 مازال هناك من يعلق أهمية على
 الائتلافين . لقد تركناهم يفوزون في
 الانتخابات السابقة ويحكمون البلاد . فماذا
 كانت النتيجة ؟ ضاعت ليبيا وضاعت
 البلقان وتشجع الأرمن حتى خرقوا هيبة
 الدولة هل نتظر أكثر من ذلك ؟ إلى
 متى ؟ إلى أن تضيع الامبراطورية كلها ؟
 ومع ذلك سمحنا لهم بالنزول إلى
 الانتخابات . وأنا أرى أن تتسببوا
 كلكم إلى حزبنا كي نكون كلنا يدا
 واحدة .

حقة كلنا انتسبنا ياباشا

اشأ: وهل من الضروري أن نكون كلنا اتحاديين
 ياباشا؟

"الجميع يتطلعون إليه مذهولين ينقلون
أنظارهم كأنهم ينتظرون من جمال أن
يطلق عليه النار "

جمال : "يتطلع إليه بهدوء وابتسامة مرسومة على
وجهه " ألم تنتسب إلى الحزب بعد ياباشا؟

الباشا لا

جمال لماذا ؟ هل أنت مع الائتلافيين ؟ أم مع
الإصلاحيين؟

الباشا لا ياباشا. معاذ الله . لامع هؤلاء ولا
هؤلاء

جمال إياك أن تكون مع حزب اللامركزية

الباشا لامركزية ولاغيرها ياباشا . في الحقيقة
أنا لا أحب الأحزاب سبحان الله . طبعي
هكذا لا أحب السياسة أحب أن
أشتغل وحدي

جمال وكيف ستنجح في الانتخابات ؟ من
سيدعمك ؟

الباشا : طائفتي وعشيرتي .

لا. لا. هذه كلمات فات أوانها. ليس
هذا عصر الطوائف والعشائر يجب أن
تتمدنوا الأحزاب الآن هي البديل هذا
عصر العلم. انسوا كل ما يتعلق بالأديان
والطوائف والعشائر العلم وحده هو الحل
لكل المشاكل في هذا العصر

جمال

أنا لا أريد أن أنتسب إلى أي حزب
"غاضباً" قل إذا إنك تريد أن تخالف
إرادتي

الباشا

جمال

لا ياباشا معاذ الله

الباشا

إذا كنت لا تريد أن تنتسب إلى الحزب
فلا ترشح نفسك .

جمال

ياباشا أنا واثق من نجاحي وسأظل أنا
وعشيرتي في خدمتكم وخدمة الدولة
العلية.

الباشا

الدولة العلية ، الآن ، يحكمها الحزب .
ومن يريد أن يخدمها يخدمها من خلال
الحزب

جمال

الباشا

وإذا رفضت ؟

جمال

:" صارخاً " ترفض ؟

الباشا

أحب أن أبتعد عن الأحزاب أنا أضمن
نجاحي دون أحزاب

جمال

تضمن نجاحك؟ طيب. تعرف من
سيترشح ضدك في منطقتك ؟ " يلتفت
إلى حمدو " حمدو " أترك القهوة من
يدك واذهب الآن ورشح نفسك في
منطقة الباشا وضده

الخدام

حاضر يا باشا

الباشا

" ينهض واقفاً بعصبية " ضدي ؟ هذا
ضدي ؟

جمال

" مبتسماً " وسينجح أنا سأريك
قيمتك يا كلب

جوقة

:" يتقدم من الطرف الآخر . يتنحنح وهو
يتسم للجمهور . ويخرج ورقة من جيبه . " أنا
حقى بك العظم . كنت حاكم دولة دمشق
أيام الفرنسيين . وأنا من أنقذ الجنرال غورو

حين حاول المشاغبون اغتياله في القنيطرة.
ولكنني لم أكن أحيأ مع الفرنسيين فقط.
قبل الفرنسيين كان هناك العثمانيون كما
تعرفون. وقد عشت معهم ورأيت فصولاً
فظيعة منهم. الحقيقة هذا هو السبب الذي
كان يجعلني مستعداً حتى لتأييد الشيطان إن
كان سيخلصنا من العثمانيين. اسمعوا ماذا
لدي. سأقرأ عليكم حقائق عن الانتخابات
النيابية في العراق وسورية وفلسطين. "يقرأ
من الورقة. ويمكن للمخرج أن يقدم
مشاهد صامتة مواكبة للقراءة ومن وحي ما
تقرؤه الورقة" فنجح الاتحاديون في
الانتخابات باستعمال الضغط والتزوير في
أقصى حدوده. وبما كان يبذله أعوان
الاتحاديين وموظفهم وخاصة الوالي ناظم
باشا من الدسائس والتلاعب وبمداخله
الحكومة قوة واقتداراً، وتهديد الناس
واستعمال الدرك لترجيح كفة أصوات
الاتحاديين. وكان من أعمالهم أنهم عينوا
أفراد جميع اللجان والهيئات التفتيشية من

المنتسبين إلى جمعيتهم. وملأوا الصناديق
بالأوراق المزورة. وكان أفراد الدرك
الذين سُمح لهم بالانتخاب، خلافاً
للقانون، يُساقون صفوفاً. يحملون الملفات
ويلقونها في صناديق الاقتراع ويذهبون
من صندوق إلى آخر ويضعون أوراقهم في
جميع الصناديق دون أن يسألهم أحدهما إذا
كانوا قد صوتوا في صندوق آخر أو يفتش
عن أسمائهم في الجداول ولم يكن أحد
من المسؤولين ليعير الاعتراض على هذا
العمل أذناً صاغية بل كانوا يلاحقون
أعضاء الحزب الائتلافي كعبد الرحمن
الشهبندر وشكري العسلي ويقتحمون
عليهم أمكنة الاجتماع ويمنعونهم من
الدعاية الانتخابية

"تصفيق وأصوات عراضات حمدو يقف
أمام المرأة وهو يرتدي لباس الباشوية
بمساعدة بعض أعوانه"

: ما هذه الضجة ؟

حمدو

جوقة الناس يحتفلون بنجاحكم في الانتخابات
يا باشا

حدو "لا ييدي اهتماماً يتابع تأمل نفسه في
المرأة "

جوقة ياليت يا باشا لو أنك تخرج إلى الشرفة
وتحييهم .

حدو "مستغرباً " أنا ؟ لماذا ؟

جوقة تشكرهم على هذا الاحتفال وهذه
العروضات

حدو ولماذا أشكرهم ؟ أليس من واجبهم أن
يحتفلوا ؟

جوقة طبعاً يا باشا . واجبهم .

حدو هل يستطيعون أن لا يحتفلوا ويعملوا
عروضات ؟

جوقة أعوذ بالله يا باشا كيف يجزؤون ؟

حدو لماذا أشكرهم إذا ؟

جوقة لأنك نجحت ولأنهم انتخبوك

- حدو "يضحك" انتخبوني ؟ " يتطلع من
النافذة " عرفتهم هؤلاء أبناء بلدتنا
- لذلك يجب أن جوة
- تعرف كم عدد النخبين في بلدتنا ؟ حدو
- لاأعرف يا باشا جوة
- أنا أقول لك ألف وثلاثمئة ناخب حدو
- ماشاء الله جوة
- وهل تعرف كم صوتاً أخذت من حدو
صندوق بلدتنا ؟
- لاأعرف كم يا باشا ؟ جوة
- أربعة آلاف صوت ما رأيك ؟ هل حدو
لأبناء بلدي فضل في نجاحي ؟
- " بغباء " أنا أعرف أنهم يحبونك يا باشا جوة
- حدو : يحبوني ؟ لاتضحكني يا حيوان. ليس فيهم
واحد يعرفني. أنا خارج البلد منذ ثلاثين
عاماً لقد نجحت لأن جمال باشا يريدني
أن أنجح وإذا كنت سأشكر أحداً على
نجاحي فسأشكر جمال باشا وحده أما

هؤلاء فلا يعنونني في شيء . غداً إذا شاء
جمال باشا أن يُنجح أحداً غيري صوتوا
كلهم ضدي وأقاموا العراضات ذاتها
لخصمي. اخرج أنت إليهم واجمع ما جلبوا
من ذبائح وأموال.

أمرك ياباشا

جوقة

اسمع. أريد أن أعمل حفلة أدعو إليها
خيرة الأوامد . ابحث لي عن أكبر ثور في
المنطقة

حمدو

حاضر ياباشا

جوقة

: واجلب أحسن شيخ في المنطقة ليذبحه

حمدو

حاضر ياباشا

جوقة

: واجلبوا لي أحسن مطربي المنطقة

حمدو

حاضر. هل نجلب رقاصات وتاترجيات؟

جوقة

طبعاً. اجلبوا أحسن رقاصات المنطقة
أعد علي ما طلبته منك .

حمدو

جوقة أكبر ثور في المنطقة وأحسن شيخ في
المنطقة وأحسن رفاضة وأحسن مطرب في
المنطقة

حدو عفارم

كردعلي : " يدخل على جمال " ياباشا الشريف
حسين أعلن الثورة

جمال أعلنها كنت أتوقع منه ذلك يا
كردعلي

كردعلي : كنت تتوقع ذلك ياباشا ؟ ومع ذلك
تعطي إلى المير فيصل مالا وأسلحة
يستخدمها ضدكم .

جمال لم يخطر لي أنه سيتجرأ لقد أفهمته
وأفهمت أباه أنني أحتفظ به رهينة فبقي
هنا هادئاً مستكيناً ألا تذكر كيف فقد
وجهه لون الحياة حين هددته بضرورة
وضع حد لأخيه علي ؟

كردعلي أذكر . تمسكن حتى تمكن . أستغرب
كيف استطاع أن يخدعك ياباشا وأنت ما
أنت عليه من الذكاء

جمال

لا تجاملني أكثر من ذلك يا محمد. أنا
معرض لأن أخدع مثل أي إنسان. أمين
الحسيني خدعني أيضاً. إنه يقوم بحولة
لتجميع المتطوعين لجيش الشريف
لاستغراب أن يفتح الانكليز مكاتب
لتسجيل المتطوعين. أما أن يجمع الحسيني
ألفي متطوع فهذه طعنة في الظهر. آخ
يا محمد ما أكثر الطعنات في ظهري. تصور
أنني أرسلت للشريف حسين ما يقرب من
ستين ألف جنيه ذهبياً مع التسليح اللازم
لألف وخمسة متطوع أو هموني أنهم
سيأتون لدعم الحملة على القناة ولكنني
سلحت عدوي لكي يتمرد علي الأسلحة
والأموال لدعم العصيان ضدي

ماذا ستفعل الآن يا باشا ؟

كرد علي

جمال

لا أعرف ماذا أقول يا محمد. أبلغ النعساني
أن يتجاهل هذه الثورة وأنت أيضاً
لا تذكر عنها شيئاً في جريدتك. سنحاول
حجب أخبارها مؤقتاً لكي نعرف كيف
سننتصر « لكثرة ما يشق الأمر بنفسه

وهو يرى السرعة التي تنفذ بها أوامره
يخطر له أن أحداً لن يجرؤ على التفكير في
خداعه ثم يكتشف بعد فوات الأوان أن
معظم أوامره لم تنفذ وأن كثيرين قد
استغلوا سطوته ليحققوا مكاسب
لأنفسهم. وذلك كله تحت ستار الطاعة
التي لا يرقى إليها الشك « هل نفذت
الاعتقالات كلها يا بهاء؟

نفذت يا باشا.

بهاء

تصور أنني صرت أشك في أنهم قد
نفذوا أوامري بالاعتقال .

جمال

ليس إلى هذا الحد يا باشا

بهاء

بل الأمر أكثر من ذلك يا بهاء . ألا
يستطيع أي واحد من هؤلاء المعتقلين أن
يهرب من السجن إذا دفع عدة ليرات
ذهبية لأي حارس ؟ لا تجبني . أنا أعرف أنه
يستطيع أي أمر أصدره يمكن أن يتعطل
أمام رشوة صغيرة .

جمال

بهاء

معك حق يا باشا. أنا عانيت من ذلك
أثناء اصطدامي باليهود. أصدر أمراً بجمع
السلاح منهم. وأنا أعرف أن لديهم
الكثير من السلاح. ولكن من سينفذ لي
أوامري؟ الدرك والجنود الذين يمكن أن
تشتريهم برشادية. اليهود يدفعون بلا
حساب. يبدو أنهم يعرفون جيداً ما
نحاول أن نتجاهله

جمال

: وما هو هذا الذي يعرفونه؟

بهاء

: أن الإنسان تسيره حاجاته. وهم يعرفون
أن الناس يحتاجون وجائعون ولذلك يسهل
عليهم شراء الأرض والسلاح وإطفاء
الأوامر، أقصد تعطيلها، فور صدورها
مالذي يجعل جندياً من جنودنا يرفض
رشوة بعشر مجيديات إذا كان لا يشبع
الطعام هو وأهله من راتبه؟ اليهود يعرفون
ذلك. ويستفيدون منه.

جمال

: يا أخي تدور وتدور وتعود إلى اليهود.
يظل قلبك ممتلئاً منهم. مالنا وهذه السيرة
الآن؟

ياباشا أنا واثق أن الخطر الأكبر الذي
يهددنا سيأتي منهم . الوثائق التي عثرت
عليها أثناء مداهماتي لمستوطناتهم جعلتني
متيقناً من أنهم يسعون لتأسيس دولة
يهودية

بهاء

وكان الثمن انك عُزِلت وصارت حياتك
مهدة ولولا أنني جلبتك سكرتيراً خاصاً
لي لما عرف الذباب الأزرق طريقه إلى
جثتك .

جمال

أنا لا أنكر فضلك علي ياباشا

بهاء

: وتعترف بفضلي عليك بأن تزيد ورطاتي
ورطة أخرى مع اليهود ؟ ألا تعرف أن
الاصطدام بهم الآن يعني استعداداً أمريكياً
والغرب كله ؟

جمال

ياباشا الغرب مسيحي ولن يتحمس
لهم أكثر مما تحمس للأرمن المسيحيين .
وفي النهاية ما الذي نفع الأرمن غضب
الغرب كله ؟

كرد علي

إلى أين تريد أن تصل يابهاء ؟

جمال

بهاء

: بما أنك تفتح النار في كل اتجاه، على العرب والأرمن والموارنة لماذا لاتأخذ اليهود في طريقك؟ لن تثير النقمة عليك أكثر مما هي مثارة .

جمال

لكل أمر وقته يا بهاء . أريد أن أصفي حسابي مع السوريين وبعدها أتفرغ للأمور الأخرى . هؤلاء السوريون يكرهونني . وهم يتحينون الفرصة للتمرد جميعهم ناقمون وعملاء . أنور لا يريد أن يفهم . أطلب منه قوات تركية بدلا من القوات العربية التي لدي والتي أخاف منها أكثر مما أخاف من الإنكليز لا يريد أن يفهم .

بهاء

: بل يفهم يا باشا . يفهم .

جمال

: يفهم ؟

بهاء

: طبعاً يفهم يا باشا . إنه يرى أن المعركة الحقيقية تلور بينك وبينه حول النفوذ .

جمال

: " صارخاً " ولكن هذه ليست معركة نفوذ . هذه معركة بقائنا كلنا . ماذا أفعل؟ كيف أتعامل مع السوريين الآن؟ اسمع

يا بهاء . يجب أن أكسر ظهورهم . سأطلق
أيدي البلطجية في حياتهم لن أكتفي بأن
يحملوا البلطيات ويمشوا ورائي لا
سأجعل كل جندي في هذا البلد غولاً
سأعدم وجبة ثالثة من وجهاء البلد
سأعلق أربعين مشنقة في دمشق. سأجبر
السوريين على الإخلاص. أنا لا أفهم لماذا
لا يُخلص السوريون لشيء

جودة إنهم مخلصون لحياتهم التي لا تحترمها.

كردعلي الجوع يا باشا الجوع مفسد الأخلاق

جمال الجوع ؟

كردعلي نعم يا باشا الجوع استفحل في البلاد

كلها . الناس يموتون في الشوارع بعد أن
أكلوا الزبالة والجيف

جمال أين ؟ في لبنان ؟

كردعلي خاصة في لبنان

جمال : هل أكلت المرأة في لبنان أولادها ؟

كردعلي لا يا باشا لم أسمع بشيء من هذا

جاء : معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الجوع الحقيقي بعد . ألم يكونوا متحمسين لفرنسا ؟ فليحصدوا الآن ثمار الحصار البحري الذي تضر به فرنسا عليهم . هذا ما يجب أن نكبره في صحفكم . مفهوم ؟

كرملي : مفهوم يا باشا . ولكن ماذا ستفعلون بالجيش الذي يجوع ؟

جاء : الجيش ساحل مشكلته . هل لديك أخبار عن الأحذب يا بهاء ؟

بهاء : الأحذب ؟

جاء : نعم . الأحذب . يجب أن أطعم الجيش يا بهاء . لم يبق أمامي إلا التنازيم . سأعترف أن التعار قد هزموني . لم ينفع معهم التهور ولا الخازوق . سأقبل بالأسلوب الذي تم به التوحيد . كل شخص يلتزم أمامي بتقديم كمية من الحبوب مثلما كانوا يلتزمون بتقديم العسكر للجيش .

بهاء : ولكن كانوا يجمعون الرجال للجيش مقابل تصييدهم بكموات وباشاوات بماذا ستفريهم الآن ؟

جل

: وبماذا يمكن أن أغري التجار ؟ بالمال
طبعاً . تعهد الأحذب بجمع الحبوب من
حوران مقابل عمولة بنسبة ١٢ ٪ ره بالمئة .
تصور الحالة التي وصلت إليها . أعفى أهل
حوران وجبل الدروز من العسكرية مقابل
زراعة الحبوب . ثم اشترى هذه الحبوب
وأدفع زيادة على أسعار السوق السوداء . ثم
أدفع ما يعادل الثمن عمولة للتجار الذين
يشترونها لي . " للحرقه " ولكن هناك شيء
لا أفهمه . كيف يمكن للشريف حسين أن
يثق بالإنكليز ؟

جولة

: هل تستغرب أن يثق بهم يا باشا ؟

جل

: طبعاً . ألم يقرأ اتفاقية سايكس بيكو التي
أرسلتها له من وثائق الخارجية الروسية ؟

جولة

: ولكنك وثقت بهم مرة يا باشا .

جل

: أنا يا عبد الكريم الخليل ؟

جولة

: طبعاً أنت . يبدو أنك لا تعرف أن
الخارجية الروسية نشرت أشياء أخرى .

جل

: " يتطلع إليهم مستغرباً " ماذا تفصلون ؟

الخليل
أرجو أن تتذكر جيداً لماذا أرسلتني إلى
مصر أما كنت تريد أن تفاوض الإنكليز
على التحالف معهم ضد الدولة العثمانية ؟
" الدهشة تبدو على الجميع "

جمال
تلك سياسة أنتم لا تفهمون منها شيئاً
ربما يساعدنا صديقك مسيو نوفيل مدير
المصرف العثماني في بيروت على الفهم
أنت أيضاً يا كردعلي ؟

كردعلي
: " للخليل " حدث بعد إعدامكم ماهو
أهم. أرسل نوفيل إلى القاهرة ليفسّاض
أللبنى والجنرال ماكسويل. نكن ماكسويل
أجابه إن مصير سورية ليس في يدي ولا في
يدك. والجنرال اللبني الذي صار واثقاً من
انتصاره رأى أن العرض قد جاء متأخراً
فهو لم يعد يريد المساومات

جوفة
وماذا عرض على الانكليز والفرنسيين ؟
كردعلي
: عرض أن يسلمهم سورية سلمياً على أن
تعطى استقلالها ويُنصب جمال أميراً عليها

هذه سياسة لاتفهمونها

جمال

الخليل

لكننا نفهم أنها الحرب التي أردتنا أن
نموت فيها دفاعاً عن الدولة العلية ولما
رفض الإنكليز عرضك خشيت أن ينتشر
الخبر فأعدمتني أنا الوحيد الذي يعرف
هذا الأمر

جوقة : ثم أعدمنا نحن بتهمة الاتصال بالفرنسيين
والانكليز ؟ تصوروا حالتنا يا عالم أعداء
يهددون وجودنا وصهاينة طامعون
بأرضنا . وحكام يفاوضون العدو ليسلمونا
إليه تحقيقاً لمطامح خاصة وهؤلاء الحكام
أنفسهم يقتلوننا بتهمة الخيانة تقاسمونا
أحياء وأمواتاً

الخليل

" يتقدم من المشنقة وهو يخطب "
أشهدكم يا قوم أننا لم نأت أمراً فرياً يوجب
وقفنا هذه . وإنني آسف لما أبديته من
الإخلاص للدولة منذ نشوب الحرب . ولكن
الاتحاديين أبه إلا أن يعلنوا عداؤهم لهذا
العنصر العربي الكريم الذي لا يملك من

أمره شيئاً. فهناك كان جمال بالغا يلهيها
 بأحرام الثورة لاستغلال الحرب فلا بد من
 ضحايا لهذا الاستغلال. ولكن أول هذه
 الضحايا هم أولئك الذين تسبب الخلفاء
 الذين تسبب جمال بالغا من أجله.
 وسيرة الفرج

كثيرون من هؤلاء حيث لا تعود لتأثير
 على فهم التاريخ الخليل. الفجوة تملأ
 جميعاً في الثورة منها لكسي فهم
 التاريخ جمال وحب الفصح بالغا. أحوال
 أصبح صوت الخليل في هذه الأحوال.
 بالغا السباح أو إيماناً سيكون أكثر
 رعداً على دعاب تلك الـ

أما الخليل على الجميع وهم يستعدون
 بهذا الخليل

سيرة: ما لم نطردون الكلام
 الخليل هذا هو من الذي يهكم
 الآن كما هيكم في الفصح.

ج ٥ : ولكن ماذا حدث لطلبه ليعملون مع
المطباء ؟

ج ٦ : لما أقول لكم .

ج ٧ : عظيم . احطك لما .

ج ٨ : هذا الرجل الذي كان المبرور
منسلاً في هذه إيمان كان بالسيا
للأمر من الأمور

ج ٩ : عفاً ؟ لا ؟

ج ١٠ : وسأعطيه * دعوني أشرح لكم كيف
توقفت عليه من الأطباء .

ج ١١ : أولاً كيف تحدثت بهذه اللغة من طلبة
هل كنت واثق من أني سأكون ذلك ؟

ج ١٢ : طبعاً . لم أكن أسير بالهنا فقد قرأنا
الوقائع الطبية في بيوت سترافول
وفي المخرجة الروحية والسريرة السروس
في لورينا ومصر . سمع طلبة يرفية سنو

روسيا في بخارست حول إرسال مندوبين
أرمنيين أحدهما روسي الجنسية والثاني
بريطاني إلى مصر

اصطفان

هذا كذب لا يمكن أن يقوم أرمنيان
بأداء هذه الخدمة له وهو يذبح الأرمن

الشخص

لا تستعجل يا اصطفان الناس يبحثون
في الأزمات عن حلول غريبة وكل على
طريقته نسيت أن هذه المرأة التي معنا منذ
البداية هي روز الأرمنية التي تزوجته بعد
المجزرة ؟

» روز

نعم أنا روز الأرمنية التي تزوجت
جمال باشا ماذا يعني أنني أرمنية ؟ كان
يمكن أن أكون من أية أسرة عايشة
الخوف. كان يمكن أن أتزوج أي جندي
أو ضابط أحتمي به لكن الفرصة أتاحت
لي اللقاء بجمال تسألوني لماذا تزوجته
هذا الذي يحمل تلك الكراهية كلها
لشعبي وربما للبشر جميعاً يظن الكثيرون
أنني تزوجته لكي أحمي بني قومي لكن

هذا غير صحيح . أنا اقتربت منه كما يمكن
أن تقترب من الوحوش . كما يمكن أن
تدخل غابة شيء خفيف لكن فينا شيئاً
يريد أن يجرب هذا الخوف لقد عشت
مع أناس مسلمين أو كنت ألعب مع
أولادهم . وكنت ، وأنا صغيرة ، أو من بما
يؤمنون أذكر كان هناك مزار يدخل
الأطفال المسلمون إليه برهبة و احترام
شديدين . حتى أنهم لم يكونوا يولونه
ظهورهم عند الخروج . حرام أن ندير
ظهورنا للمقدسين . ذات يوم انتبهت إلى
ولد كان يمشي خطوتين إلى الورا ثم
يلتفت ويخرج راكضاً بالاتجاه الطبيعي . أي
أنه كان يغافل المزار ليدير ظهره له ويخرج .
قلت له : هل تغش الله أم المزار ؟ قال
أحب أن أجرب هذا الخوف هكذا
تزوجت جمال باشا . كنت أريد أن أجرب
ذلك الخوف ، أن أغامر في مغارة مظلمة
راهنـت نفسي أو غافلتها بادعائي أنني
سأجد في هذه المغارة ضوءاً . لابد أن يكون

في هذا الرجل ضوء ولا بد أنني سأستطيع
أن أصل إليه . في لحظة ضعف . لحظة
حنان لحظة جنس . لحظة خوف

وماذا وجدت ؟

جوة

مازلت أظن أن في مغارة هذا الرجل
ضوءاً ولكن المشكلة أنه كان يخاف
ضوءه يخاف أن يعترف بضوئه أن
يرى أحد فيه ضوءاً حين يثبت من
قدرتي على الوصول إلى ضوءه قبلت
أن يخونني . قلت لنفسى لعل روز
أخرى تستطيع . »

روز

مارأيك يااصطفان ؟

جوة

:" ممكن كل شيء ممكن

اصطفان

وممكن أيضاً أن يأتي أرمنيان لمفاوضة
جمال باشا باسم الحلفاء .

جوة

ممكن

اصطفان

نعود إلى موضوعنا إذاً " للشخص " كنت تحدثنا عن برقية وزير الخارجية الروسي.

البند السادس في تلك البرقية يقول إن المهمة الموكولة إليهما ، أي إلى الأرمنيين ، هي إيجاد الطرق اللازمة للدخول في مفاوضات مع أحمد جمال باشا ومعرفة شروطه ومطالبه أما برقية سazanوف وزير الخارجية إلى السفير الروسي في باريس ذات الرقم ٦٣٣ وهو رقم الشيفرة وتاريخها ١٧ / ١ / ١٩١٦ فتقول أؤيد فكرة السيد إدوارد غراي بوجوب قيام الفرنسيين بمفاوضة جمال باشا ووسطائه في القاهرة. "جمال يريد أن يتكلم ولكنه لايعطيه الفرصة. يخاطب الآخرين " لن نضيع وقتنا بسماع احتجاجاته البرقية الصادرة عن وزارة الخارجية الروسية في بطرسبورغ في ٢٦ تشرين الأول عام ١٩١٥ بالشيفرة رقم ٦٣٩ تلخص طلبات جمال. وبناء على هذه البرقية والبرقيات

الأخرى سنسمع ونرى كيف نوقش طلبه.
وسنفترض أن سايكس وبيكو هما اللذان
ناقشا الطلب "يتقدم سايكس وبيكو"
وسيكون معهما من يتحدث باسم الروس
طبعاً "يتقدم ممثل آخر." « ولكن قبل أن
نبدأ سنسمع وجهة النظر الإنكليزية بشكل
عام في عام ١٩٠٣ جمع اللورد كيرزون
نائب الملك في الهند مشايخ منطقة الخليج
وقال لهم. تفضل يامستر سايكس ماذا
قال اللورد كيرزون ؟

سايكس

لا بد أن تدركوا أننا لانتوي أن نضيع
قرناً كاملاً مكلفاً من النصر والرخاء لأي
سبب . ولن نترك هذه الصفحة من التاريخ
لتطوى إن أمن هذه المياه " يلتفت إلى
الجوقة موضحاً " يقصد مياه الخليج ، سوف
تتم المحافظة عليه . واستقلالكم سوف
يضمن طالما بقي نفوذ الحكومة البريطانية
فوق أي نفوذ

: ماعلاقة قصتنا بهذا الكلام ؟

جولة

جوقة

سترى العلاقة بعد قليل «

"الروسي والفرنسي والإنكليزي في مشهد
مستقل يبدأ سايكس وبيكو المشهد
بضحك صاخب"

الروسي

لاداعي للضحك أنا أرى أن الرجل
جاد ويجب أن ندرس طلبه بجدية

بيكو

جاد ؟ هذا عرض جاد ؟

الروسي

لم تقولوا حتى الآن ماذا يطلب

بيكو

اسمع يعرض جمال باشا مايلي أولاً
أن تتعهد الدول المتحالفة بالاعتراف بسيادة
الدولة العثمانية برئاسة سلطان على اتحاد
السلطنة المؤلف من دول سورية وفلسطين
وعربستان والعراق وكيليكية وأرمينية
وكردستان .

سايكس

أف هذا فقط؟ وماذا يترك لنا ؟

بيكو

"يكمل " ثانياً : أن يتولى السلطنة أحمد
جمال باشا وأن يتولى السلطنة من بعده
أولاده وأحفاده . " ضحكة من سايكس .

يكون يتابع كأنما ضحكته " ثالثاً : يتعهد جمال أن ينادي بأن السلطان الحالي وحكومته أسرى بيد الألمان ويعلن الحرب عليهم . رابعاً في حال إعلان جمال ثورته هذه وزحفه لمقاتلة الحكومة يتعهد الحلفاء بتقديم السلاح والغذاء والعتاد الحربي اللازم للجيشه خامساً أن تقدم الدول المتحالفة إلى جمال المساعدات المالية اللازمة حتى نهاية الحرب سادساً يرضى جمال بترك المضائق للحلفاء ومعها اصطمبول سابعاً يتعهد جمال بأن يترك الطريق مفتوحة وحررة لمساعدة الأرمن

اصطفان كانت هناك إذاً فرصة لمساعدتنا لماذا لم تقبلوا ؟ لماذا تركتم مئات الآلاف منكم يموتون ؟

جولة اهدأ يا اصطفان اهدأ ودعنا نسمع .

اصطفان : ماذا ستسمعون ؟ لم يترك هؤلاء المنافقون مكاناً إلا وبكوا علينا فيه وشهروا بوحشية العثمانيين . ولكن كانت هناك فرصة

لإنقاذ مليون أرمني من الموت " يمسكون
به ويعدونه . يهدئ نفسه بصعوبة . ثم
يخاطب بيكو " هل تسمح بإعادة الفقرة
المتعلقة بالأرمن ؟

بيكو يتعهد جمال باشا بأن يترك الطريق
مفتوحة وحررة لمساعدة الأرمن .

اصطفان أليس في هذا اعتراف بأن الطريق
لمساعدتنا كانت مغلقة بأمر منك ؟

جمال وهل أنكرت أنني أكرهكم وأنني أريد
إبادتكم ؟

اصطفان " بحقد هادئ قدر المستطاع " لم تنكر
لم تنكر يا ابن الكلب آخ لو أنني أستطيع
أن أغتالك مرة أخرى .

جمال أسمعتم ؟ أرايتم الحقد والقلوب السوداء ؟

اصطفان تحدث عن القلوب السوداء بعد أن
ذبحتنا بتلك الوحشية ؟

جمال : وحشية ؟ " يحاول أن يتذكر " ماذا
كان اسم ذلك الرجل الذي كلفناه ؟

جوة

سيرانشيو ؟

: سيرانشيو فعلاً.

جمال

جوة

هل من المعقول أن تنسى اسمه ؟

جمال

أناس مثله لانذكركم إلا - حين نحتاج إلى قتل . والقتلة كثيرون ولكن أفهم من كلامكم أنه كان يتصرف بوحشية . " ينادي " سيرانشيو ياسيرانشو " يتقدم منه ممثل " تشوهون سمعتي ياسيرانشو ؟ هل كنتم تذبجونهم بوحشية ياسيرانشو ؟

سيرانشيو

معاذ الله ياباشا أية وحشية ؟ محسوبكم قصاب محترف أتقن الصنعة وعائلتنا تتوارثها أباً عن جد كنا نذبجهم بمنتهى اللطف والإنسانية . حتى أننا راعينا أن يكون الذبح حسب الأصول الإسلامية . اسأل أي واحد منهم إن كنا قد ذبحناه دون أن نقول باسم الله .

جمال

: ولكنهم مسيحيون ياسيرانشو كان يجب أن تتعلموا الذبح على الطريقة المسيحية حين تكلف بعمل من هذا

النوع يجب أن تتقن عملك جيداً ولا تشوه
سمعتنا

كفاكم تهريجاً على أية حال هذا القاتل
اغتاله ميثاق طور لاقيان في اسطمبول عام
١٩٢١

جوقة

"يضحك ويوجه الكلام إلى سيرانشيو"
قتلت آلاف الأرمن ولم تستطع أن تقتل
ذلك الرجل ؟

جمال

وهل أنا من كان ينتقي ياباشا ؟ أنا كنت
أقتل الذين تجلبونهم لي

سيرانشيو

يبدو لي أن دوري لن يأتي حتى الصباح
إذا تركناكم تتحدثون على راحتكم .
سأقدم شهادتي أنا الجنرال فالكنهاين
قائد القوات الألمانية في المنطقة والمستشار
العسكري للصدر الأعظم . أستطيع أن
أفيدكم في موضوع الأرمن . كانت هناك
ضرورة لصدور قانون التحشير الذي نقل
الأرمن بموجبه من مناطقهم المجاورة لروسيا
لضمان أن لا يستغلهم القيصر ضد

فالكنهاين

الامبراطورية العثمانية وقد لاقى هذا القانون بعض المقاومة ولا بد أنه قد حدثت بعض التجاوزات .

اصطفان : ذبح على أيدي قصايين محترفين وتسميها تجاوزات ؟ »

الشخص : أرحوك يا أصفهان لا تتكلم إلا حين يجيء دورك أنا سأقرأ وثيقة تريحك وتغنيك عن التدخل. " يقرأ " يفيد أحد المصادر أن الأرمن الذين قرر العثمانيون ترحيلهم لأنهم عنصر غير مرغوب فيه يبلغ عدده مليوناً وسبعمئة وخمسين ألفاً. رُحلوا إلى سورية وبلاد ما بين النهرين. ونفذت العملية عام ١٩١٥ بوحشية فمات أو قتل ستمئة ألف في الطرقات. واستطاع البعض أن يهرب إلى روسيا. هل نكمل الآن؟

جولة : أكمل . أكمل . إهدأوا يا شباب . دعونا نسمع .

شخص : " بشير للثلاثة أن يكملوا حوارهم " تفضلوا بالجماعة . أكملوا .

بيكو هذا العرض لا يحقق إلا رغبة روسيا
 وحدها بالاستيلاء على اسطنبول والمضائق
 في حين أنه يحرمنا من البلاد التي وعدنا بها
 كفلسطين وسوريا وقسم من مقاطعة
 كيليكية

الروسي إن الشعب الروسي لا يمكن أن يحمده عن
 فكرة الاستيلاء على اسطنبول والمضائق ؛
 سواء أخذناها بالحرب أو بالاتفاق مع
 جمال باشا

مايكس بالنسبة لبريطانيا الأمر أكثر أهمية
 وخطورة . هناك قناة السويس وطريق الهند .
 وأحب أن أذكركم بقرار مؤتمر لندن عام
 ١٩٠٧ . يقول القرار إن هناك خطر أخطر
 في البحر المتوسط . فعلى شواطئه الجنوبية
 والشرقية بصفة خاصة شعب واحد تتوافر
 له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل
 مقومات التجمع والترايط ؛ ذلك فضلا عن
 نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية الكبيرة .
 فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة
 الوسائل المدنية ومكتسبات الثورة الصناعية

الأوربية وانتشر العلم والثقافة فيها؟ إذا
حدث ذلك فستحل حتماً الضربة القاضية
بالامبراطوريات القائمة يجب أن نفكر في
حل آخر.

مثلاً ؟

بيكو

هناك جسر بري بين أوروبا والعالم
القديم . على هذا الجسر يجب أن تقوم قوة
معادية لشعب المنطقة وصديقة للدول
الأوربية ومصالحها

سايكس

ومن أين ستجلب هذه القوة لكي تقيم
هنا بشكل دائم وتكون صديقة لأوروبا
ومصالحها ؟

بيكو

القوة موجودة اليهود نضرب
عصفورين بحجر واحد اليهود يبحثون
عن وطن يؤويهم بعد المذابح التي تعرضوا
لها في أوروبا وأنظارهم متجهة إلى
فلسطين . تعرف طبعاً أنهم يبدلون جهوداً
كبيرة من أجل الهجرة إليها . عرضوا
على السلطان عبد الحميد تسديد ديون

سايكس

الامبراطورية كلها مقابل السماح بالهجرة
ولم يقبل. لم يبق أمامهم إلا أن يلجأوا إلينا.

لنساعدهم أم ليساعدونا ؟ " يضحكان "

بيكو

" للروسي " اضحك معنا يا عزيزي . نحن
أمام حل يريخنا جميعاً ألاتواجهون
المتاعب مع اليهود ؟ سنحل مشكلاتنا
ومشكلاتهم

سايكس

يا جماعة لاتأخذونا بعيداً لدينا عرض
واضح ومتعلق مباشرة بالحرب القائمة
الآن. فلنناقشه لماذا نذهب بعيداً ؟ دعونا
في عرض جمال باشا

الروسي

حين يكون لك عدو مريض ماذا تفعل
به ؟

سايكس

تداويه ؟

بيكو

أم تقتله ؟

سايكس

قد أتركه يموت إذا كان ميؤوساً منه

الروسي

انسحب إذاً من الحرب واترك
الامبراطورية العثمانية لتتفكك وتنهار
تلقائياً

بيكو

الروسي : أنا أرى أن محاولة جمال باشا تعجل في
انهيار الامبراطورية

سايكس : اسمع يا عزيزي . نحن لا نريد أن نقوض
الامبراطورية العثمانية لأننا لانحبها . إن
لدينا مصالح في الأراضي التي تسيطر
عليها . وهذه المصالح تقتضي وجودنا نحن
وبشكل مباشر

بيكو : هذا يعني يا عزيزي أننا لن نقتل الرجل
المريض لكي نضع مكانه رجلاً صحيحاً
معافى

الروسي : نرفض طلب جمال باشا ؟

سايكس : في هذه المنطقة كثيرون ممن يريدون أن
يصيروا ملوكاً وكلهم يريدون الانفصال
عن جسم الامبراطورية ولكننا لسنا هنا
لمساعدة أحداً على تحقيق طموحه
الشخصي

الروسي : ولا حتى الشريف حسين ؟

سايكس : وخاصة الشريف حسين هذا يريد
امبراطورية عربية

الروسي

ولكنكم تساعدونه.

مايكس

مثلما تساعدون أنتم الأرمن . مساعدة بمقدار ماتؤدي إلى نخر الامبراطورية من الداخل وإنها كلها بمشاكل داخلية. وليس من أجل تحقيق طموحاتهم أو من أجل قيام دول ذات إرادات مستقلة

مايكس

على أية حال هذه المناقشة سابقة لأوانها. المهم الآن أن جمال باشا رجل تافه ومغرور يتوهم أننا نراه كما يرونه في حزبه أو كما يفرض نفسه على شعبه إن تشكيكه للجيش بغية مهاجمتنا في مصر فرصة رائعة لاستنزاف قادة هامة من قدرات العثمانيين.

الروسي

تعني أن تحديد الجيش الرابع لا يقلقكم ؟

مايكس

إنه يسوق آلاف الفلاحين لتجنيدهم بالقوة وهؤلاء بلا تدريب أو تسليح أو حتى معرفة بالسبب الذي يحاربون من أجله يعني باختصار هذا جيش يصلح لإخافة السوريين . أما نحن فلا نخيفنا

أقول لك بصراحة ؟ هذا يسعدنا كلما
ازداد ظلم جمال للناس ازداد أملهم بتحقيق
الخلاص على أيدينا

تعني أنك اقتنعت بوجهة نظري ؟

يكنو

هناك أمر لم تذكره لي أو لعله لم يكن
يخطر لك . المجاعة المجاعة التي يعاني منها
السوريون الآن ستحقق لنا ما لم نكن
نتوقعه هؤلاء الناس إن لم تحركهم الهزيمة
سيحررهم الجوع سيموت آلاف الناس
جوعاً . ومئات الآلاف ستعيش عيشة
البهائم . لن يرضى الناس عن هذه الحياة .

سايكس

" متظاهراً بالاندهاش " ستجعل السوريين
يطلبون معونتنا ؟

يكنو

لا تتظاهر بالسذاجة يا عزيزي يكنو
المجاعة ستذل السوريين . وتجعل ارتباطهم
بأرضهم هشاً أتعرف أن هناك من
يبيع أرضاً كبيرة لتاء وجبة واحدة .
ولا تتصور أية وجبة أتعرف ماذا يعني
هذا ؟ سيكون سهلاً على أصدقائنا اليهود

سايكس

أن يشتروا ما يشاؤون من الأراضي .
وإضافة إلى ذلك فإن الشعب ، كما هي
العادة، يحمل حكامة نتيجة أوضاع
كهذه. ولذلك لن نرفع الحصار حتى لو
استجاب جمال لكل شروطنا.

يكنو
ألن يخرج من صفوف الشعب من يوضح
لهم أن الحصار الذي نضربه نحن هو
السبب؟

مايكس
" يضحك " لا . ليس حصارنا هو
السبب بل السياسة الحمقاء التي ينتهجها
جمال هي السبب والضرائب الجديدة التي
يفرضها من أجل إعداد جيشه الجديد هي
السبب .

يكنو
نسيت السبب الأهم . إن الذين يمكن أن
يحدثوا الشعب حديثا كهذا قد صاروا
كلهم في سجون جمال أو أنه أعدمهم
وانتهى منهم .

مايكس
لعبة جميلة مثل تلك التي يلعبونها هنا
ما اسمها ؟ كركوز أو كاراكوز شيء من

هذا جمال كاراكوز يتحرك كما يشاء
الذين وراء الستار وهو يظن نفسه
حراً. "ضحك من الجوقة"

"يتدخل غاضباً فيوقف المشهد " من
الطبعي أن يتحدثوا بهذا الغرور عن
أنفسهم وبهذا الاستهتار بخصمهم

بدأت تدافع عن نفسك ؟

جمال

جوقة

سأدافع عن نفسي بكل ما أعرفه جئت
أحكم بلاداً أناؤها لا ينتمون إليها كلهم
يعتمدون على قوى خارجية الموارنة
وقسم من الكاثوليك يعتمدون على حماية
فرنسا . والقسم الآخر من الكاثوليك يعتمد
على حماية ألمانيا . الأرثوذكس يعتمدون
على روسيا والبروتستانت والدروز على
بريطانيا

جمال

ولماذا يعتمد المواطن على حماية قوة
خارجية ؟

جوقة

لأنه عميل وحاسوس .

جمال

ولماذا لا يكون السبب إحساسه أن الدولة
ليست دولته وأنه مستباح فيها ؟

جوة

وهل تلك القوى كانت تهتم بمصيره ؟
أنتم تعرفون ماجرى لكم معهم بعد انتهاء
الحرب

جمال

على أية حال يبدو مما رأينا الآن أننا لم
نكن وحدنا نفكر في الاعتماد على قوى
خارجية

جوة

إذا كنتم تشيرون إلى اتصالاتي فتلك
سياسة لاتفهمونها

جمال

السؤال الآن بسيط وواضح يا جمال باشا
هل كنت تريد أن تبني دولة مستقلة ؟

جوة

نعم . أعترف بذلك . كنت أحلم أنني
سأصير ملكاً وأكرر القول هل هناك
إنسان لم يحلم مرة واحدة على الأقل في
أن يكون ملكاً ؟ وما هو الملك ؟ تصوروا
أن هذا المعتوه محمد رشاد ملك . بعد أن
قمنا نحن ، الاتحاديين ، بعزل عبد الحميد
جئنا بمحمد رشاد ليحل محله . إزاحة ملك

جمال

وتعين ملك بهذه البساطة كأنك تعين
قائم مقام مكان آخر . لم لا يحق لنا أن
نحاول لكي نكون ملوكاً طالما أن هؤلاء
الطراير ملوك ؟

جوة وفشلت أذلت نفسك لهم وهم
احتقروك

جمال : ليست مسألة احتقار. رفضوا العرض
الذي قدمته لهم لأن القوى العظمى، كما
سمعت بأنفسكم منذ قليل، قد قررت أنه
يجب أن لا تقوم دولة قوية ذات إرادة
مستقلة في هذه المنطقة.

جوة تقصد في الشام ؟

جمال في المنطقة كلها. تذكرون ما فعلوه بمحمد
علي باشا حين استطاع جعل مصر دولة
قوية.

جوة ماذا فعلوا ؟

« جمال حين قام الوهايون بحركتهم استعان
السلطان العثماني بمحمد علي لمحاربتهم
فأرسل ابنه ابراهيم باشا على رأس جيش

قوي ولم يعن هذا شيئاً للدول العظمى
 على الرغم من عداوتهم للعثمانيين . ولكن
 بعد انتهاء ابراهيم باشا من قتال الوهابيين
 وتوجهه إلى الشام اصطدم بالعثمانيين
 وهزمهم . ومرة أخرى أُذْكَرَ أنه على الرغم
 من عدااء الدول العظمى للعثمانيين ، الذي
 كان يجب أن يدفعها لمساعدة ابراهيم باشا ،
 إلا أن هذه الدول تدخلت ضده . كان لابد
 من تهجير قوته واستطاعوا أن يجرضوا
 السكان ضده فاضطر لاستخدام القوة ضد
 المدن التي استسلمت له دون مقاومة قبل
 أشهر وهكذا

مالنا ولهذا ؟

جوة

هذا هو الموضوع . جيش يحمل هوية
 سكان البلاد جيش عربي أو إسلامي .
 هذا ما لا يقبلون به

جمال

ولكن محمد علي ليس عربياً

جوة

ولكن جيشه عربي جيشه من الشعب
 المصري العربي المسلم ومن بلاد الشام التي

جمال

فتحتها. " يسترسل في الشرح " وبدأت
الاحتجاجات ضد محمد علي وابنه. كان
المطلوب وضع حد لنفوذهم. حتى أنهم أرادوا
أن يحددوا له تعداد الجيش الذي يحق له أن
يشكله

أبداً هذا غير صحيح لم يجرؤوا عليه
إلا بعد أن أبدى طموحات توسعية

جوقة

طموحات ماذا ؟ توسعية ؟ لقد قالوا ذلك
فعلاً. الذين كانت جيوشهم تحتل آسيا
وأفريقيا وحتى القارة الأمريكية . يحتلون
٨٠٪ من العالم هؤلاء هم الذين احتجوا
على ما أسموه الطموحات التوسعية لمحمد
علي باشا هل هم فعلاً ضد التوسع ؟ أنتم
لا تقرأون التاريخ جيداً . ولكن مثلما جلبتم
شهودكم سأجلب شهودي . تعالوا
واسمعوا هذه المحادثة القصيرة فقط " يزيح
ستارة صغيرة فيظهر وراءها شخصان "
هذا هو محمد علي باشا. وهذا هو السفير
الفرنسي في مصر "يمكن أن يعمل يكو
دوره "

جمال

السفير

: يا باشا أنت تشكل جيشاً عربياً .
عناصره كلهم عرب . وقد يحسّ يوم
يرغب فيه هذا الجيش العربي الخالص في
إقامة حكومة عربية . إنه جيش قوي وقوي
في مواجهة قوة عثمانية شائعة .

محمد

: اسمع يا سعادة السفير . أنا أحكم مصر
بجيش مصري . وأنا لم أفعل في مصر إلا
كما فعل الإنكليز في الهند وكما فعلتم أنتم
في شمال أفريقيا . جيوش من أبناء قبلاذ
تحت أمرة ضباط إنكليز أو فرنسيين .

السفير

: ولكن الإنكليز متضايقون من وجود
جيشكم في الكويت .

محمد

: وهل الكويت إيالة إنكليزية ؟

السفير

: وليست إيالة مصرية . جيوشكم هناك
منذ أربع سنوات وهم يريدونكم أن
تنسحبوا منها

محمد

: أعرف أعرف . لقد أرسلوا إلي إنذاراً
بهذا الخصوص .

: واعتقد أن من الأفضل أن تنسحبوا من الشام كلها

السفير

: نحن في الشام بناء على طلب الخليفة

محمد

: ولكنكم اصطدمتم به وهزمتموه جيشكم قوي ما شاء الله

السفير

هل ستدافعون عن الخليفة العثماني
ياسعادة السفير ؟

محمد

" يضحك " لا . ليس إلى هذه الدرجة

السفير

إلى أين ، إذا ، تريد أن تصل ؟

محمد

أعتقد أنه من الأفضل أن تكتفوا بجيش صغير قادر على حمايتكم وعلى قمع أي شغب داخلي

السفير

: "متدخلاً ومنهياً الحوار " من هنا تبدأ الخطوة الأولى في هزيمتي . كنت أريد أن أقيم دولة قوية في هذه المنطقة ولكن الغرب لا يمكن أن يسمح بذلك . « ولهذا رفضوا طلبي . وأبوكم علي

جمال

: رجعنا إلى الاتهام بالعمالة والخيانة؟

جودة

جمال

ليس اتهاماً. وسواء كنتم تعملون مع
الغرب متقصدين أم لا. فقد نفذتم له مآربه
حين وقفتم ضدي. أنتم كنتم ترون فرنسا
هي الأم المخلصة. واعتبرتم جيش الأمير
فيصل المتعاون مع الإنكليز جيش
الخلاص.

جوقة

ما فعلته بنا جعلنا نفكر بالتعامل حتى مع
الشیطان ليخلصنا كنا غير واثقين من
الغرب ولكن الجحيم الذي عيشتنا فيه
جعلنا نقول لأنفسنا لعل وعسى وفي
النهاية ما الذي يمكن أن يفعله بنا أي عدو
أو حليف غادر أكثر مما فعله بنا جمال؟
أنت جعلتنا نكره العيش في أوطاننا يارجل.
ألا تعرف كم بلغ عدد المهاجرين من بلاد
الشام خلال حكمك؟ لم يبق مكان في
الدنيا لم يهاجر إليه الشوام هرباً منك ومن
الجماعات التي سببتها والمظالم التي مارستها

جوقة

تكلّموا ياناس قولوا ما الذي فعله بكم
جمال باشا

جوة

: وماذا تريدنا أن نقول ؟ ومن أين نبدأ ؟
من التهجم ؟ أم من الإعدامات ؟ أم من
المجاعة ؟ هذا حديث يطول . ماذا أذكر
منك يا سفرجلة ؟ كل عضة بغصة

جوة

: نتكلم عن الحرب أولاً كم كانت
مخصصات الجندي من الطعام في الجبهة ؟

جمال

لا أعرف . كيلوغرام من المواد الغذائية
المختلفة " يحس أن الكمية قليلة " قد
لا تكون كمية كبيرة ولكن أنت تعرف
ظروف الحرب والحصار المضروب على
البحر

جوة

: ومع ذلك لا بأس بكيلو غرام " يلتفت
إلى الآخرين " أليس كذلك ؟

جوة

لم يكن يصل للنفر أكثر من مئتي غرام

جوة

وفي الكثير من الأيام لم يكن يصلنا شيء.

جمال

أبلغت المجاعة هذا الحد ؟

جوة

لا يا باشا ليست المجاعة . كانت المواد
التموينية متوفرة بالحدود التي قدرت في بدء
الحرب

: إذا لماذا لم تكن تصل ؟

جمال

كانت تُسرق. أكل الجنود كان يساع في
الأسواق بالأسعار التي فرضتها الجماعة.

جوقة

: وحتى الملابس والذخيرة والسلاح كان
يُهرب ويساع بعضها للإتكليز وبعضها
للشريف حسين

جوقة

لاتنسوا أننا كنا نريد أيضاً أن نؤمن ما
يتيسر لعائلاتنا التي كنا نعرف أنها تموت من
الجوع.

جوقة

فسرقتهم تموين الجيش .

جمال

لم نكن نستطيع سرقة تموين الجيش ونحن
في الصحراء . إن كنا نستطيع أن نسرق
شيئاً فلنأكله. الذين سرقوا التموين
هم كبار الضباط والباشاوات والمتنفذين .

جوقة

ما علاقة عائلاتكم إذا ؟

جمال

: كنا نهرب من الخدمة لكي نشتغل
مايمكن أن يؤمن الحد الأدنى الذي نساعده
به أهلنا

جوقة

أنا أعرف أن الموظفين في الدولة يفعلون ذلك . أما في الجيش فلم أكن أتوقع .

جمال

ولماذا لا تتوقع ؟ أليس الذين في الجيش بشر ؟

جوقة

الموظفون الذين تتحدث عنهم كانوا فقراء يريدون أن يجدوا ما يأكلونه بالمناسبة. هل تعرف أن الموظفين كانوا يبيعون رواتبهم ؟

جوقة

أو يضمنونها

جوقة

الرواتب تباع وتضمن ؟

جمال

طبعاً تباع . لأن كبار الموظفين كانوا يتاجرون بالرواتب بدلاً من دفعها للموظفين . الموظف يقبض راتبه مرة كل ثلاثة أشهر وتمتد أحياناً إلى سنة ولذلك كان الموظف يتنازل عن راتبه للباشا أو المحاسب ويقبل نصفه أو ربعه الآن بدلاً من الانتظار الذي لا يضمن أنه سيؤدي إلى نتيجة

جوقة

جمال
تصوروا أن أنتصر بجيش كهذا ؟ وشعب كهذا ؟

جوقة ما الذي جعلنا هكذا ؟

جمال
قولوا لي أنتم ما الذي جعلكم هكذا ؟

جوقة
الجوع

جوقة
والخوف

جوقة
الجوع والخوف

جوقة
الاضطهاد

جوقة
لقد بدأت هزيمتك حين عادت الشعب الذي تحكمه . حين صار الخوف صلتك الوحيدة بالناس .

جوقة
:هل تعرف مثلاً ما معنى كلمة أورطة ؟

جمال
طبعاً أعرف أورطة تعني دورية صغيرة من الجيش أو الشرطة

جوقة
صحيح هذا في لغة الرسميين . أما في لغة الشعب فصارت تعني عصابة زعران . أتعرف لماذا ؟ لأن الأورطة التي كانت تخرج من أجل الأمن صارت تبحث

عن رزقها وملذاتها. ولكي تؤمن ذلك
كان لابد لها من استغلال نفوذها
وبهذا تحولوا إلى عصابات مسلحين
وسكرجية وقوادين ومتسلطين صاروا
أورطة. وصار ابن البلد يصنفهم هؤلاء
أورطة حرامية وهؤلاء أورطة سكرجية
وهؤلاء أورطة حشاشين إلى آخر
القائمة. وكلهم يضربون بسيف جمال
باشا

الشخص

"يقراً" وكان دأب عسكر الإيالة الثقلة
على الأهالي في ديارهم والتعدي عليهم .
وقد أحل لهم هذا سكوت الوالي ورضاه
الصريح ولهذا كان عسكري الدولة
يُحسب بأنه البلاء الأعظم على أصحاب
القرى والمزارع الذين لم تكن لديهم قوة
أن يدفعوا تعديه عنهم. ولهذا كان عسكر
الدولة أو الدالاتية مكروهاً محتقراً حتى
كان يُضرب المثل بسفالتهم مما لا يزال
دارجاً إلى اليوم بقولهم إن فلانا مثل عسكر
الدولة ملحه على ذيله

: ماذا أفعل ؟ هؤلاء هم الجنود الذين كانوا عندي . إنهم أبتأؤكم . كيف تسم الدولة إذا كان جنودها هكذا ؟ وموظفوها كما ذكرتم ؟ الفساد في المنزr في الأخلاق .

جمال

لو أعطيت الناس كتابتهم لما فسدت أخلاقهم .

جوقة

من أين ؟ الخزينة فارغة وديون الامبراطورية تتراكم .

جمال

: أليس غريباً أن تشكو الإفلاس ياباشا وحولك أناس يكسبون كل يوم بللارين ؟

جوقة

: أمر محير فعلاً . لم أصدر أمراً إلا انعكس لمصلحة التجار وللوظفين للتجارزين للقانون وزاد في الجوع .

جمال

: هذا فساد عمره عشرات السنين . وقد استفحل أيام الحرب .

كردعلي

: معك حق . كانت قوات الفساد أقوى من قوات الأوامر . كيف أجمع التموين ؟

جمال

كيف أجمع السلاح من اليهود ؟ كيف
 أوقف محرتهم إلى فلسطين ؟ كيف أضع
 حداً لتجار الحبوب ؟ صار التجار أقوى
 من الحكومة . أنشأنا تجمعاً لتجار الحبوب
 في بيروت ثم في حلب ثم في دمشق لكي
 نجمع الحبوب اللازمة لإطعام الجيش
 والجائعين في لبنان . لكن التجار صاروا
 يدفعون سعراً للحبوب أعلى من أسعار
 الدولة صاروا يجمعون الحبوب ويفرضون
 السعر الذي يريدون حتى على الدولة
 هل أحول الجيش الذي يجب أن يتفرغ
 للقنال إلى الجباية وجمع المحاصيل ؟ هل
 أحوله إلى درك لمطاردة الأثقياء والعصاة ؟
 هل أحوله إلى حرس حدود لكي أمنع
 هروب السوريين إلى أمريكا أو إلى الشريف
 حسين ؟ هل كنت مخطئاً حين ظننت أن
 السوريين لن يجزؤوا على التحرك بعد
 سلسلة الإعدامات التي نفذتها ؟

جوة ألم يكن من الممكن محاسبة المفسدين
 والمسيئين ؟

ممكّن . وقد حاولت حاولت الإصلاح والقضاء على الفساد ولكن من يخاسب من؟ إذا كان الجميع يرون البلاد ذبيحة يحاول كل منهم نهش أكبر قطعة يستطيع الوصول إليها . كلهم منتفعون وكلهم شركاء . وكلما كلفت شخصا بالتحقيق والمتابعة رأى أن من مصلحته أن يتعاون مع الجريمة وليس أن ينفذ ما أمرته به .

على بعضنا ياباشا ؟ صحيح أن هناك من كلفته وخان ثقتك . ولكن صحيح أيضا أنني خفت من المضي في التحقيقات . فالذين ستطالهم هذه التحقيقات هم أعمدة حكمك . ومحط ثقتك . حسبها مع نفسي ببساطة . هذا الباشا أو الضابط أو القائم مقام الذي سيطاله التحقيق أكثر أهمية عند جمال باشا مني أنا الموظف البسيط المكلف بهذا التحقيق . التحقيق لعبة يريدون منا أن نلهي الناس بها . لماذا أقبضها بجديّة وتقع البلوة في النهاية على رأسي؟ هل تعرف مثلاً ما هي السيادة الأنورية ؟

كيف لا أعرف ؟ هدية أنور باشا
للجيش. كان العرب قد أخذوا يبدون
إعجابهم بالأمير فيصل وسيدارته الفيصلية
فارتأى أنور أن تعمم سيدارة باسمه على
أنها رمز مقابل .

جمال

" يشرح للآخرين " جاءت كمية من
الأقمشة العسكرية لإكساء الجيش .
ولكنها اختفت وكلفني جمال باشا
بالبحث عنها والتحقيق في سبب اختفائها.
فتبين لي بسرعة شديدة أن الأقمشة نُقلت
إلى مستودعات خاصة بأنور باشا وهذه
الأقمشة هي التي حُوت إلى سیدارات
أنورية باعها أنور للدولة بمبالغ خرافية.
وكان ذلك ما يعرفه الجميع ويتداولونه
بينهم في السر . هل كنت أستطيع أن أقول
لجمال إن أنور باشا هو السارق ؟ وماذا
كان سيحدث لي لو قلت ؟ هل سيحميني
جمال من غضب أنور ؟ ومن أنا لكي
يصطدم جمال بأنور من أجلي ؟

جودة

- جولة : وهكذا انهارت القيم والأخلاق . سادام
حاميتها حراميتها نحن نجوع وغورنا ينهب.
- جولة وفي الوقت ذاته بدأت تجند الناس بالقوة
وكأنك تسوقهم إلى السجون أو إلى
معسكرات الاعتقال .
- جمال "يستمتع مبتسماً باستعفاف بينما هم
يندفعون إلى الكلام بحماس ."
- جولة جيش الموت
- جولة : الذاهب إليه مفقود والعائد منه مولود .
- جولة : قرى بأكملها تساق إلى الجيش .
- جولة : وقرى بأكملها تُخلى من سكانها هرباً
من الجيش .
- جولة أحياء المدن كانت تخلو من الناس حين
تقترب دورياتكم منها
- جولة أجبرتنا على أن نشره أولادنا كي
لا تسحبهم إلى جيشك .
- جولة : ومع ذلك يشبه نفسه بمحمد علي ؟

: " يضحك . " يبدو أنكم معجبون جداً
بمحمد علي " يسحب الشخص " ألم
تقل إن كل شيء مكتوب عندك ؟ أقرأ لهم
كيف كون محمد علي جيوشه .

جمال

" يفتح كتاباً " سنقرأ من تاريخ
الجبرتي . " يقرأ " ينقض الجنود على الأهالي
ويلقون القبض على من يصادفونه فيشدون
وئاثقهم ويسوقونهم إلى البندر " يقلب إلى
صفحة أخرى ويقرأ " في أيام محمد علي لم
تكن هناك حالات يُعفى فيها أحد من
التجنيد ولذا فإن الأهالي كانوا لا يكادون
يسمعون خبر حاجة الباشا إلى جنود أو
يرون فرقاً من جيشه تتجه صوب إحدى
القرى أو المدن حتى يهجرها فتيانها
ورجالها فيعتصمون في الوهاد والمغاور أياماً
وأسابيع إلى أن يبرح الجنود

الشخص

: " ينتزع الكتاب من يده " هل صحيح أن
هذا قد كتب عن محمد علي ؟

جوة

: لماذا تستغرب ؟

جمال

هذا بالضبط ما حدث لنا في أيامك .

جوقة

: " يضحك " أعد له الكتاب " يفعل "

جمال

ولكن أنت لم تكثف بهذا أنت أوقفت
الحياة والإنتاج والزراعة

جوقة

" للشخص " أجبه

جمال

" يقرأ من صفحة أخرى " ولم يقف أثر
التجنيد على الزراعة عند حرمانها من
السواعد القوية ، بل إن الفلاحين لجأوا
إلى تشويه أعضاء أولادهم منعاً لذهابهم
إلى الجيش والأسطول

الشخص

هذا ما كنا نفعله نحن أيضاً في أيامك .

جوقة

" جمال ينظر إليه بحدة فيسكت "

" يكمل " وقد سرت هذه الروح في
الشباب حتى تحملوا عن طيب خاطر
إتلاف أعضائهم

الشخص

تسمعون ؟ هكذا صار محمد علي رجل
التاريخ . التاريخ يتجاوز التفاصيل
الصغيرة .

جمال

: حياتنا كلها تفاصيل صغيرة ؟

: أنتظن أن حياتك أهمية كبيرة حين يكون
هناك عمل تاريخي ؟ « تذكرني بعبارة في
رواية كانديد لفولتير. أرجو أن لا أفاجئكم
أيضاً بأنني مثقف ثقافة فرنسية لا بأس بها
في تلك الرواية يتساءل أحدهم مثل
تساؤلِكَ. ويأتيه الجواب : إذا أراد الله أن
يُغرق سفينة فهل يهتم كثيراً لمصير الفئران
التي فيها ؟ لا يهتم بالتأكيد يا صاحبي .
حياتك لا يذكرها أحد عند التعامل مع
التاريخ . « أنا أقول لك متى تصبح
حياتك تلك الأهمية . عندما تقع الهزيمة .
الهزيمة تفتح المجال للكشف عن العيوب
كلها مثلما تذكرون عيوبِي الآن في حرب
الزعة التي خسرتها والتي تسمونها
السفربرلك . وكالعادة عند وقوع الهزيمة
يأتي أكلو الجيف ليندبوا علي جثثك . أما
إذا حدث الانتصار فلما أن تنسى أو تعتبر
شهيداً عظيماً تعرف لماذا ؟ لأن الانتصار
يخفي العيوب كلها مثلما أخفيت عيوب
محمد علي .

: ولماذا هذا الإلحاح على محمد علي ؟

جوة

: لأنه فرض نفسه على افسلطة وعسى
الأوربيين . هذا الشرق لا يتقنه إلا حاكم
مستبد عادل .

جل

: يبدو أن جهلك باللغة العربية يحطك
تنسى أنه لا يمكن الجمع بين كلمتي مستبد
وعادل.

جوة

"ضاحكاً" يبدو أن جهلك أنت يحطك
تنسى أن هذه العبارة ليست لي . إنها
لجمال الدين الأفغاني . وقد خطر لي أنني
أستطيع أن أحقق ذلك . لم أفعل الكبر عما
لم تكونوا تريدونه أنتم . أردتم أن تصفوا
خصومكم بسيفي . " يتقدم ويشد
شخصاً . " تعال . أنت كامل يك من
جبل عامل . ألم تقدم لي وشاية برضا
الصلح من صيدا وعبد الكريم الخليل من
صور ؟

جل

: " مطرقاً بخجل " لم يخطر لي أنه
سيعدمهما

كامل

: أصدرت الأمر بإعدامهما فوق عبد
الكريم الخليل وهرب رضا الصلح

جمال

كنت أريد أن أتقرب من جمال لكي
أضمن نجاحي في الانتخابات " بخزن "
يبدو أننا لانفهم هؤلاء الحكام كنت أظن
أنه سيكتفي بإبعاده لكي يخلو لي الجو. لم
يخطر لي أن وشاية صغيرة يمكن أن تؤدي
إلى الإعدام . ولكن كان يجب أن أتوقع
ذلك . أيام بربر باشا اشتكى له أحد
المقربين منه من أن ابنه الشاب لم يعد
يسمع كلامه . وتمنى لو أن الباشا يكلم
الولد . فطلب الباشا من الرجل أن يرسل
له الابن الشاب . وفي اليوم التالي جاء
الأب قلقاً لأن الولد لم يعد إلى البيت بعد
مقابلة الباشا . فقال له الباشا : خيشت
ابنك . تعرفون ماذا تعني هذه الكلمة ؟
تعني أن الباشا وضع الولد في خيشة وألقاه
في البحر . وحين صرخ الوالد متفجعاً :
ياباشا كنت أريدك أن تنصحه فقط . قال

كامل

الباشا وهل ترى أن عندي مدرسة لغزية
ابنك ؟

جمال

طيب وأنا ليس عندي مدرسة
لتزيتكم. هذه سياسة . تريد أن تزيع
خصمك يعني تريد أن تتخلص منه . وفي
النهاية أنت والأسعد لاتعنيان لي إلا تقدر
ما يستفيد الحكم من كل منكما . وطالما
أنك جئت تشي بآبن بلدك أمامي فهذا
يعني أنك ستكون خادماً مخلصاً لي أكثر
منه . أزيحه وأكسبك .

هذه هي المصيبة لم أفهم الأمور على
هذا النحو

الرجل

جمال

هل فهمتها الآن ؟ هذه اسمها لعبة
السلطة . لا وقت للمزاح فيها . أنت
لاتعرف أي ثمن يمكن للإنسان أن يدفعه
لكي يزيع منافسيه . من منكم يذكر أن
السلطان سليم الأول أعظم رجل في
التاريخ قد فتك بأفراد عائلته كلهم لكي
يثبت حكمه ؟ لأحد . لماذا ؟ لأن الجميع
يعرفون أن هذا هو ثمن السلطة .

أعرف أنك دفعتنا نحن الثمن
جولة
جمال
: ليس في هذا ما هو جديد الشعوب
تدفع الثمن دائماً

: ونعترف بهذا الآن ؟
جولة

: لماذا لا أعترف ؟
جمال

جولة
أن تقدمنا وقوداً لمعارك تحقق فيها
طموحاتك هذه مفهومة ولكن لماذا
أدلتنا واضطهدتنا ذلك الاضطهاد كله ؟

جمال
لأنه ما كان من الممكن أن تطيعوني دون
اضطهاد

امراة
جولة
" تتقدم " أنا أريد أن أتكلم مسموح ؟
طبعاً تفضلي

امراة
: الاضطهاد فكرة يحكي عنها الرجال
وخاصة الذين يشتغلون في السياسة أنا
لأنهم كلامهم . لا أواجه الاضطهاد الذي
يحكون عنه. هذا اضطهاد خارج البيت
وأنا لا أخرج من البيت لكن أظن أن
الاضطهاد هو ما نرى آثاره على وجوه

رجالنا حين يعودون إلى البيت نحس به
مثلما نحس بمشاجراتهم من الكدمات التي
يعودون بها على وجوههم أو نحس
بأشغالهم من الأوساخ العالقة بملابسهم
أحس أن زوجي مخنوق كأنه مجبر في كل
يوم على أن يفعل شيئاً لا يريد. مثل المرأة
التي تضطر للنوم مع رجل لا تريده وليس
حلالها لأعرف إن كان الرجال كلهم
هكذا كنت أظن أن الرجل يجب أن
يكون قوياً وقادراً ولكنني كنت أراه
صامتاً كأنه مجبر على السكوت عن إهانة
توجه إليه أمامي أو توجه إلي أمامه يخرج
من البيت خائفاً ثم يعود إلى البيت
خائفاً. عند الباب يخلع خوفه وكأنه يخلع
عنه ملابس العمل المتسخة. يخلع خوفه
لكي يسترد كرامته المهدورة خارج البيت.
ولذلك يقسو علي وعلى كل من في
البيت. وكنت أفهم أنه قاس لأنه مذلول .
يقسو علي لأنه خائف . يضربني وهو
خائف . يضربني كأنه يصفر في الظلام أو

يتنحى لكي يطرد خوفه أعرف ذلك
فأراه صغيراً أراه صغيراً فأبكي لأريده
أن يكون صغيراً "تبكي الجميع
متأثرون"

: مامنى هذا الكلام ؟ أنا سببت هذا
الخوف كله ؟ وهذا الذل كله ؟

جمال

ألم تكن تعرف ؟

جودة

كنت في السلطة وكان يجب أن أحافظ
عليها صدقوني. كنت سأغير هذا كله
بعد الحرب

جمال

: الحرب التي لم يكن لها نهاية .

جودة

بل كانت نهايتها قريبة ولكن أنور
باشا هو الذي كان يعرقل عملي تصور
أنه كان يخشى اتساع نفوذي في
سورية. ولكي يقلص هذا النفوذ لم يكن
لديه مانع من أن أخسر الحرب. أقول له
"يتوجه إلى أنور" يا أنور باشا . الإنكليز
يخشدون قوات كبيرة على جبهة فلسطين
وقواتنا غير كافية . وكلها عربية . وأنا

جمال

لا أستطيع الاعتماد عليها . العرب
يكرهوني .

أنت الذي جعلتهم يكرهونك

أنور

معه حق . أنت الذي جعلت الشعب
الذي استقبلك استقبال الملوك عند مجيئك
يتحول كله ضدك . ألم تعط الأوامر
بتعريض أبناء العرب لنيران العدو وتوفير
الأكراد لأنك تحتاج إليهم لتنفيذ خطتك
في مناطق الأرمن ؟

جوقة

يا أخي حاسبوني على هذا في ما بعد .
المهم الآن إنقاذ الوضع . اللسبي ينهياً
للهجوم

جمال

لاداعي للتهويل . أصدقائنا الألمان يرون
أن جبهة العراق هي الأهم . يجب
استرجاع بغداد من الإنكليز

أنور

: ولكن الطفل يستطيع أن يلاحظ أن
الهجوم الأكبر سيكون على جبهة فلسطين .

جمال

هل دبت فيك الغيرة لأننا حققنا انتصاراً
في الكوت وحاصرنا القوات الإنكليزية ؟

أنور

جمال : يا رجل . اسمعني بحق الله . أليس سيهجم
وليس عندي قوات تستطيع أن تصده

أنور : لا تقلق يا عزيزي . لا تقلق هنا إنكليز
وهناك إنكليز المهم أننا نسحقهم على
جبهة العراق

جمال : ونفتح لهم جبهة فلسطين ؟

أنور : جمال . أعرف أنك تتصل بالإنكليز هل
تريد أن نسحب قواتنا من العراق لكي
تخفف الضغط عنهم ؟

جمال : يا أخي افهم . أقول لك إن الهجوم على
غزة قد بدأ دعنا نرد الهجوم وبعدها
نتحاسب

أنور : نتحاسب ؟ بعد أن تكون قد عززت
موقفك بقوات كبيرة وخففت الضغط عن
الإنكليز ؟ من يستطيع أن يصل إليك
ليحاسبك ؟ لن نرتكب الغلطة التي
ارتكبتها أنت مع الشريف

جمال : أنا ؟ أية غلطة ؟

أنور تعطي خصمك المال والسلاح
ليستخدمهما ضدك وأنت تظن أنك تزود
حليفاً

جمال هذا يعني أنك خائف من أن أقوم
بعصيان عليكم

أنور "بجيت " لا . لا . أعوذ بالله وهل يمكن
أن نشك فيك ؟ ولكن الحرص واجب .

الشخص " يدخل " إلى متى سيطول نقاشكم
هذا؟

جمال حتى يقتنع .

الشخص ضيعتم الكثير من الوقت . أللبي استولى
على غزة

جمال "لأنور " سمعت؟ اقتنعت الآن؟

أنور " بهلوء " سنرى . سنرى . يا جنرال
فالكنايين . أرى أن تقوموا بجولة تفقدية
لجبهة فلسطين. يبدو أننا سنحتاج إلى زج
بعض قواتنا فيها . وستكون بقيادتكم .

جمال

" للشخص " لا يثق بي ولا يريدني أن
أستلم القوات .

قال

" يكلم أنور ويكملان النقاش متجاهلين
جمال تجاهلاً تاماً " أخشى أن تكونوا قد
تأخرتم يا باشا لقد قمت بتفقد الجبهة
وأظن أن الموقف ميؤوس منه بصيغته
الحالية. الناس يموتون جوعاً المعنويات
منهارة الشعب يكره القيادة الجيش في
حالة تسيب مطلق . ما من قائد قطعة
عسكرية ينام واثقاً من أنه سيجد في
الصباح العدد ذاته من الجنود ولاء الناس
الحقيقي للشريف أول الإنكليز أو للشيطان
لكنه ليس لكم

أنور

: هذه نتائج السياسة التي مشى عليها
جمال. يجب أن نفكر في حل

لال

: الحل إعادة تشكيل الجيش على نظام)
بلديرليم(الألماني أقصد نظام الصاعقة

أنور

إن كان النظام ألمانياً فهذا يعني أن القيادة
ستكون ألمانية

وجمال ؟

فال

سنرسله في مهمة إلى ألمانيا

أنور

: "لنفسه أو للجوقة " هكذا أبعدنا زكي
باشا حين عارض فكرة الحرب ولكن
لا. لن تكررُوا معي ما حدث لزكي باشا
أنا يكرهني الناس إذا جردتموني من
سلطاتي تقتلونني . للناس عندي ثأر. أنا
لست حاكما عاديا يداي ملوثتان بالدم.
هؤلاء بدو لا ينسون ثأرهم

جمال

هذا ما كنت أريد أن أقوله لا يمكن لهذا
الجيش أن يحارب بشكل مقنع وهو في
ظل قيادة مزدوجة. نحن لانستطيع أن نقود
الجيش بالتعاون مع جمال الذي لا يحبنا ولا
يثق بنا

فال

تعال نناقش الأمر في اجتماع موسع .

أنور

:وإلى أن نصل إلى قرار ستكون القيادة
بإشراف ساندرز

فال

ومن عندنا سيكون جمال المرسييني .
" يشير بيده للمرسييني فيتقدم "

أنور

: وماذا عن مصطفى كمال ؟

قال

: مصطفى عسكري . قائد ميداني
لا تفكر فيه الآن . ستعاونون جيداً مع
المرسيني .

انور

" ضاحكاً " جمال الصغير

لال

: لا يا عزيزي . " يضع يده على كتف
المرسيني بنود " المرسيني يختلف عن جمال
في كل شيء . نلقبه بالصغير لتمييزه عن
أحمد جمال باشا " يتأبط كل منهما ذراع
الآخر ويخرجان . " ول المرسيني أن يلحق
بهما " "

انور

: تعال هنا . دعني أفهم . ماكدت تحل
علي حتى اتصلت بالأمير فيصل لماذا
أرسلت إليه سعيد الجزائري ؟

جمال

: وما علاقتك أنت ؟

المرسيني

: ألا تتعظ من تجاربي ؟ فيصل يريد أن
يصير ملكاً . لهذا لم يقبل أن يصالحني حتى
بعد أن أرسلت له وثائق سايكس بيكو
لماذا تضيع ستة أشهر من الاتصالات معه ؟

جمال

الموسمي

أنا اتصلت به أصالحه لأسباب عسكرية .
أريد استعادة ٢٠ ألف درزي مع ١٥ ألف
لاجئ فار إلى جبل الدروز . لكنه لم يقبل .
وأرجوك لاتضيع لي وقتي أكثر من ذلك .
كما أنصحك بتنفيذ الأمر الصادر إليك
بالتوجه إلى ألمانيا

جمال

" يبقى وحده مطرقاً " مجردوني من
السلطة والقوة ، من الحراسات والهيبة .
ومتى ؟ الآن في عز الهزيمة وعز كراهية
الناس لي لنا كلنا ماذا أفعل ؟ يارب
ماذا أفعل ؟ هل أبلغ أنور بمخاوفي ؟ لن
يهتم بالعكس سيشمت . وربما زاد في
تعريضني للخطر . ماذا أفعل ؟ أين أهرب ؟
أين أختبئ ؟ كيف أداري هذا الخوف
الذي يعصر القلب ؟

جوقة

خائف من تحمل أوزار الهزيمة ؟

جمال

لا يا أخي . أنا الآن خائف على حياتي .
خائف من كل إنسان . إنني أخاف من
زوجتي وابني وحرسني . كلهم

لا يحبوني. كلهم لم يحبوني كانوا يظهرون
 الخضوع والطاعة فقط ولم اكن اهتم
 لم اكن أريد أكثر من الخضوع والطاعة
 الحب آخر ما كان يهمني لقد ذهبت
 اليوم إلى بهاء لكسي نفكر في تدبير ولكنه
 اختفى لا أعرف أين هو هل هرب ؟
 هامي الفئران تهجر السفينة الغارقة هاهم
 الأصدقاء يتخلون عن الصديق المفلس
 وما أنا أقف وحدي عارياً في مواجهة
 العاصفة

"يدخل مسرعاً" ياباشا ياباشا "
 ينتفض جمال وينظر إليه بريية يترك بينهما
 مسافة. " وصل الإنكليز إلى الناصرة

رسول

كيف يصلون إلى الناصرة ؟ فون ساندرز
 فيها مقر قيادته فيها

جمال

:كان ساندرز نائماً في مقره في الناصرة
 ودخل عليه مرافقه الخاص صباحاً وأيقظه
 ثم أبلغه أن العدو صار على أبواب الناصرة
 فخرج بملابس النوم وكان يرتدي بزته

رسول

العسكرية في السيارة تاركاً أوراقه السرية
وغير السرية وما كاد يتعد بالسيارة
حتى دخلتها خيالة العدو فأسرت أركان
حربه وهم في منازلهم وأسرت قوات
المعسكر العام جميعها

جمال : "يطرق حزينا". إنها النهاية إذاً يجب أن
أسرع بالسفر إلى ألمانيا هناك أحتمي
بالامبراطور على الأقل

رسول تأمرني بشيء يا باشا ؟

جمال " كأنه فوجئ به " مازلت هنا ؟ ماذا
تفعل هنا ؟ تتجسس علي ؟ انقلع من هنا
فوراً. " يخرج "

بهاء : " يدخل " يبدو أن علينا أن نغادر هذه
البلاد يا باشا.

جمال بهاء أين أنت يا بهاء ؟ بحثت عنك في
كل مكان ولم أجذك

بهاء : سمعت بالأخبار ؟

جمال بالناصرة ؟ سمعت

: لا يا صاحب العظمة هناك ما هو
أخطر. لقد دخل ألنبي القدس

بهاء

: القدس؟ " لا يعود قادراً على الوقوف
يجلس منهاراً يضع رأسه بين يديه
بتأثر حقيقي . "

جمال

: إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ
عليه مثل الرجال

جولة

: "بضعف " لا تظلموني يا جماعة . والله
تمنيت لو خسرت عيني ويميني ولم يدخل
القدس هؤلاء الأوغاد . يا جماعة . أنا كنت
أخطط لدخول مصر . هل أفرط بالقدس ؟
إنه أنور والألمان

جمال

: وماذا يعني إن كنت تتصارع على
السلطة مع أنور وكانت النتيجة ضياع
القدس ؟

جولة

: معكم حق . النتيجة هي أن القدس قد
ضاعت . ولكن ليس لأنني لم أحافظ عليها
مثل الرجال . أنا حاولت أن أكون أكثر من

جمال

رجل ولكن في النتيجة معكم حق .
يطرق مرة أخرى بحزن "

" ينتظره قليلاً " ماذا نفعل يا باشا ؟

بهاء

جمال

" وهو يكاد يبكي " ماذا بإمكاننا أن
نفعل يا بهاء ؟ لاشيء . لانستطيع أن نفعل
شيئاً لا أحد يسمح لنا أن نفعل شيئاً . أنا
في بيروت ويُفترض أنني مسافر إلى ألمانيا .
لاأستطيع الآن أن أحرك جندياً واحداً .
لست واثقاً من أن حرسى سيطيعونني .
ولكن لماذا ؟ لماذا تسقط القدس الآن ؟ لماذا
تسقط وأنا مازلت الحاكم بالاسم ؟ لماذا
يجبروني على تحمل هذه الهزيمة ؟

لأنك أنت الذي صنعها

جولة

" يسترد عنجهيته " بل أنتم تخاذلتم . لم
تحاربوا .

جمال

:لانريد أن نحارب .

جولة

:هؤلاء كفار .

جمال

:كانوا أصحابك .

جولة

: حتى لو كنت أنا خائناً هذه بلادكم
التي تريدون أن تحافظوا عليها
تحافظ عليها ممن ؟

جمال

جوة

منهم .

جمال

: وكيف سنحافظ عليها منك ومن
أمثالك ؟

جوة

أنقذوها الآن منهم وبعدها تفكرون بنا
:إننا لانضمن أنك لن تبيعها لهم بعد أن
نموت من أجلها

جمال

جوة

:قياساً على عدد السكان قدمت شعوب
الشرق الأوسط النسبة الأعلى في الضحايا
بين كافة الدول المتحاربة خمسمئة ألف

جوة

خمص وحثدا عشرة آلاف وطرابلس
نصف سكانها والقلمون ثلثي
سكانها. ومن دروز لبنان أربعة عشر ألفا.
هذا غير مئات الآلاف ممن ماتوا في
الطرقات جوعاً. وكان ممنوعاً علينا حتى
أن نبكي موتانا . لماذا ؟ لأنهم شهداء.
وكان المطلوب منا التطوع ثم التطوع ثم

التطوع. لماذا ؟ لنصرة الإسلام. هذه حرب
الإسلام ضد الكفار والآن فقط نعرف
أن ذلك الذي كان يسوقنا إلى هذه المجزرة
كان يعرض نفسه ويعرضنا للأعداء "
ساخرأ " أعداء الإسلام . كان يريد عرشاً.
العرش من أي شيطان يقدمه له . وبأي
عدد من الضحايا على أن نكون نحن
الضحايا

جوقة لو قتلناك ألف مرة لما كفاك للتكفير عن
ذنوبك كلها معنا

جمال أعرف أعرف

روز : ولكن لم لاثحكم العقل ياباشا ؟ قائد
فشل في معركة يترك الفرصة لغيره

جمال لغيره ؟ لمن ياروز ؟ لمن ؟ لأنور ؟ أم
لطلعت ؟

روز : لا هذا ولا ذاك . كلكم جريتم وفشلتم .

جمال : لا ياعزيزتي لأحد يترك كرسي الحكم
باختياره تصوري أنني خائف على نفسي
وأنا في الكرسي وحولي الحرس

والجيش. فكيف سأواجه الدنيا هكذا دون
حرس أو حماية ؟

كما يواجهها أي إنسان

لا تغلطي أنا لم أعد مثل أي إنسان أنا
يдай ملوثان بالدم لم تعد المسألة مسألة
كرسي وحكم . إنها الآن مسألة حياة
أو موت ترك الكرسي صار يعني ترك
الحماية .

: والنهية ؟ إلى متى ؟

: حتى النصر أو الموت

أما زلت تتحدث عن النصر ؟

: وهل تتوقعين مني أن أفكر بالموت ؟

يبدو لي أن التفكير بالموت في حالتنا هذه
أمر طبيعي أكثر من التفكير بالنصر

: الموت آه يا عزيزتي . الموت هو الخصم
الشبح الذي لا أستطيع التخلص من
مطاردته . الموت . طوال عمري وأنا
أفكر بالتمويت لكي لا أواجه الموت وجهاً
لوجه

ردد

جمال

ألا تستطيع أن تفكر بالحياة يا باشا ؟

تذكر ينسني بماري أنطوانيست كأنك
تساءلين لماذا لا يأكل الجائعون البسكويت
إذا كانوا لا يجدون الخبز الحياة أي
ترف !! كيف يفكر بالحياة من يعيش
وحده مع أشباح قتلاه ؟ من لا يثق بأحد.
ومن يخاف حتى من خياله إنني مثل من
سعى حتى وصل إلى القمة ثم يكتشف
وهو عليها أنه قد صار وحيداً. لأحد
يستطيع الوصول إليه . وهو يخاف أن يصل
إليه أحداً لأنه لم يخلف وراءه ذكرى طيبة .

أرض

جوقة

عشنا فيها غرباء

أو سجناء

أو لقطاء

أرسلنا لحروب لا نعرفها

لا نعرف من فيها الأعداء

لا نعرف من فيها الحلفاء

غرباء

عن حاكمنا

عن أنفسنا

عن ماضينا

عن حاضرننا

عشنا في أرض كنا نعرفها

ونظن بأننا غلكتها

وأنا الحكماء الأمراء

ليقولوا إنا أجراء

ليقولوا موتوا فيها

كي يبقوا أمراء

ماذا تعيننا حرب

لا تطلب منا غير دماء

لا نجني منها إلا نصر الأعداء

الأعداء هنا من سلبوا منا لقمتنا

وكرامتنا

ليصيروا أمراء

ويظلوا أمراء

والأعداء هناك الغرباء

الآتون لكي يفتسمونا

مع من ظلوا أمراء

يا جماعة لاتكونوا قساة على أنفسكم
لكي تتهموني بالقسوة . أنا اضطررت
للقسوة لأنني كنت أريد أن أنتصر في
الحرب

جمال

:لاتنتصر . من قال لك إننا نريدك أن
تنتصر؟

امراة

لاتريدون ؟ هذه حربكم وهذه بلدكم .

جمال

لايا باشا لانريدك أن تنتصر في حرب
يكون انتصارك فيها ذلاً لنا . أي نصر هذا؟
وعلى من ستنتصر ؟ على الإنكليز ؟ لا .
إننا لم نحس في أي يوم بأنك تريد أن
تنتصر على أحد غيرنا ، نحن شعبك الذي
تريد أن تحارب به لكي تجلب

امراة

انتصارك. أنت كسرت السيف الذي كنت
تريد أن نحارب به. أنت لم تجعلنا نرى من
النصر والهزيمة إلا الموت .

: الحرب فيها موت . وكان يجب أن تحبوا
هذا الموت من أجل بلادكم ومن أجل
الكرامة الوطنية

جمال

٤: الكرامة الوطنية لم تسمح لنا أن
نختارها. لم تسمح لنا أن نعرف الكرامة
الوطنية لكي نجها وندافع عنها. أنت
جردتنا منها قبل أن يأتي العدو إلينا

المرأة

: هكذا إذا أنا وحدي الذي سيحمل
الهزيمة . أنا الذي ضيع القدس " بفجائية
" كنت أريد أن أدخل التاريخ منتصراً مثل
خالد بن الوليد أو حتى تيمورلنك أو
هولاكو . لكنني أساق مثل الدابة دون
إرادة لكي يحمل أنور على ظهري هزيمة
لا يفصل عارها إلى الأبد . القدس التي لم
تخرج من أيدي المسلمين منذ استردها
صلاح الدين من الصليبيين. يستعيدها الآن

جمال

الأوريون ومني أنا أي عار وأية هزيمة؟
الإنكليز في القلنس. والإنكليز وراء
الشريف في الحجاز. من كان يتصور أن
يصبح الملك جورج الخامس ، ملك
إنكترا، هو خادم الحرمين الشريفين ؟

هل تظن أنهم سيعطونها للشريف
يا باشا؟

بهاء

جمال

لا تكن حماراً يا بهاء . هل يدخل في
عقلك أن الإنكليز حاربوا لكي يعطوها
للشريف؟ أنت أيضاً لم تصدقني . لم
تصدق اتفاقية سايكس بيكو التي نشرتها
الخارجية الروسية بعد سقوط القيصر ولم
تفهم ما الذي يعنيه وعد بلفور الذي قطعه
الإنكليز لليهود

وكيف سيررون إخلافهم لوعدهم
للشريف ؟

بهاء

جمال

: تظن هذه صعبة عليهم ؟ سيفركون من
السوريين من لا يرضون بحكم الشريف
وابنه

ومن قال لكم إن السوريين موافقون على
أن يحكمهم الأمير فيصل ؟

حفي

: وهل تتكلم باسم السوريين الآن ؟

شخص

الم تعرفني ؟

حفي

: عرفتكَ . أنت حفي العظم

شخص

"ساخرأ" ستعيرني أنني صرت حاكماً
لسورية أيام الفرنسيين

حفي

هناك ما هو قبل ذلك يايبك نذكر أن
وثائق السفارة الفرنسية ظلت معك بعد
مغادرة بيكو

جوة

لم أخف يوماً أنني أحب فرنسا
والفرنسيين وهم كانوا يعرفون ذلك
ويقدرونه ولذلك كانت ثقتهم بي
لاحدود لها ولكن عن أية وثائق
تحدث ؟

حفي

: الوثائق التي أعدنا جمال باشا بموجبها
حين سمحت لتلك الوثائق بالوقوع بين
يديه لمن كان إخلاصك ؟ للفرنسيين ؟ أم
لجمال ؟ أم لبلدك ؟

جوة

جوقة

حقي

كان مخلصاً لمطامحيه

تظنها تهمة ؟ طبعاً كنت مخلصاً لمطامحي.
ولهذا لم أقبل أن يجيء فيصل الحكمنا . نحن
أصلاً نطالب باستقلال سورية تحت حماية
فرنسا . وإن اللبنانيين وكل المسيحيين
السوريين يرفضون سلطة ملك الحجاز
الذي يستمد ها من الدين . ولأنه سيشكل
حكومة دينية وأنا أرى أن الكثير من
المسلمين السوريين يحملون نفس الفكرة
في ما يتعلق بالشريف حسين.

مايكس

: "من طرف آخر يظهر واقفاً كأنه
امبراطور "أي شريف حسين؟ وأي كلام
فارغ ؟ هذا البدوي راعي الجمال يصدق
أننا حاربنا من أجل أن نقيم له مملكة ؟
«هل تعرفون كم خسرت إنكلترا في هذه
الحرب على الجبهات كلها؟ في فلسطين
خسرنا ٥١٤٥١ قتيلاً وفي غاليبولي
٢٥١٠٠٠ ، إضافة إلى ٧٧١٥٠٣٣ في
المرض خلال الحرب كلها . في ١٩١٧
صيفاً كان عدد الهاريين من الجيش

الخریطاتی يساوي عدد الباقيين هل دفعنا
هنا كله لكي نصنع مملكة لهذا البدوي ؟ »
هذه أرض اقتحمناها بجيوشنا وجواسيسنا
وأبطالنا . الجميع يعرفون الآن أننا قوة
عظمى . نضرب بقوة . نحارب ونحطم . إننا
نقوض امبراطورية . ولذلك يجب أن
لا يفكر أحد بعد اليوم بمخالفتنا العالم
الآن قد صار عالماً جديداً فيه قوة ضاربة
وحيدة . ولا يمكن التفاهم معها إلا بمعنى
التنازل لها وقبول أوامرها لا أحد يستطيع
التفاوض معنا من موقع الند . حتى الأمير
فيصل الذي استعجل للوصول إلى دمشق
ظاناً أنها مسابقة جري ليس إلا ضابطاً
عاملاً في منطقة عسكرية تابعة لنا أفهموه
ذلك لكي يتخلى عن أوهامه كلها » أما
بالنسبة للأتراك فهذه شروطنا لوقف القتال
ضدهم . حل الجيش التركي فوراً باستثناء
ما يلزم من قوات للسهر على الحدود
ولحفظ النظام في الداخل . استسلام كافة
الزولوق والمغن الحربية في المياه التركية أو

في المياه التي تحتلها تركيا . ويتم احتجاز
هذه السفن في موانئ ومرافئ تركية حسب
التعليمات الصادرة إليها . للحلفاء حق
احتلال أية مواقع استراتيجية في حال وقوع
ما يهدد أمن قوات الحلفاء . لسفن الحلفاء
الحق بالاستخدام الحر لكافة الموانئ والمرافئ
التي هي الآن تحت الاحتلال التركي ومنع
استخدامها من قبل العدو أو لصالحه .
تصبح محطات الاتصالات الهاتفية والبرقية
تحت سيطرة الحلفاء . يجب تقديم
التسهيلات للحلفاء لشراء الفحم والنفط
والوقود والمواد البحرية من المصادر التركية
بعد تأمين حاجات البلاد منها . ولكن يمنع
تصدير أي من هذه المواد . يوضع ضباط
إشراف من الحلفاء على الخطوط الحديدية
ويجب أن توضع تحت السيطرة الحرة
والكاملة لقوات الحلفاء . استسلام كافة
حاميات الحجاز وعسير واليمن وسوريا
وماين النهرين إلى أقرب قائد عسكري من
الحلفاء . يجب إخلاء كافة العسكريين

والمدنيين وعناصر البحرية الألمان
والنمسيين في مدة أقصاها شهر من كافة
الأراضي الواقعة تحت السيطرة التركية
يرتبط ممثل عن الحلفاء بالوزارة التركية
لضمان مصالح الحلفاء. وتقدم لهذا الممثل
كافة (المساعدات) الضرورية لهذا
الغرض. التزام تركيا بقطع كافة العلاقات
مع قرات المحور. هذه هي بعض شروطنا
لوقف القتال.» لاوقت لدينا لنضيعه في
مناقشات عقيمة. الجميع ينفذون ماتقرره
مصلحنا. ستكون هذه المنطقة كما نريد
لها أن تكون. سنصنع حكماً ونصنع لهم
دولاً بقدر ما نحتاج. ومن أجل ذلك
سنخلق دولاً ونلغي دولاً ونقسم دولاً
كم مليوناً من الأكراد أو الأرمن في
المنطقة؟ لا يهم. لن تكون لأي منهما
دولة. وبالمقابل سنصنع دولاً لعشائر
لا يزيد عددها عن الآلاف سنصنع
هولاء الهمج كما نشاء. ومن هولاء في

النهاية ؟ شعوب متخلفة وسنقيها متخلفة
ولكن بطريقتنا المتحضرة .

يكو

عن إذنك يامستر سايكس . لدي رسالة
من غرفة تجارة ليون إلى وزير الخارجية
الفرنسية تقول الرسالة : إن سورية التي
يعرفها تجارنا والتي يطالبون بها دون نقاش
تمتد من جبال طوروس حتى مصر وتضم
كيليكية القديمة وفلسطين القديمة التي
أدخلها التاريخ إلى تراثنا المعنوي منذ
القرون الوسطى . سورية بلد منتج
للحرير . وهذا يعني أنها تابعة لسوقنا ،
سوق ليون الكبيرة ، التي أصبحت بفضل
قناة السويس أكبر مركز للمواد الحريرية في
العالم . إن سورية تصدر لنا كل عام
كمية من الحرير تبلغ ١٥٠٠ ألف كيلو
غرام تقريباً أي ما تعادل قيمته ٢٥ مليون
فرنك . وثمة رسالة أخرى من غرفة تجارة
مرسيليا تقول إن سورية التي ينبغي على
بلادنا أن تطالب بها مطالبتها بمارث
شرعي لها تشمل ولايات بيروت ودمشق

وأضنة وحلب وحاكمية لبنان العامة
بالإضافة إلى متصرفية القدس أو فلسطين
ومتصرفية دير الزور

: هذا كثير يامسيو بيكو

مايكس

: سنحتاج إذاً إلى جلسة خاصة لتقرير
حصة كل منا من المنطقة

بيكو

: " يتطلع إلى الجوقة " سأحكي لكم حكاية

جمال

ظريفة كان هناك عصفور متجمد من
البرد تبرزت عليه بقرة. فدبست في
جسمه الحرارة من البراز. وأحس أنه قادر
على الحركة فبدأ يتحرك وأحس ثعلب
عابر بحركته فالتقطه وأكله. انتبهوا للدروس
والعظات التي في هذه القصة أولاً ما كل
من يبرز عليك هو عدوك ثانياً ما كل
من يخرجك من البراز هو صديقك . ثالثاً
وهذا هو الأهم اعرف قوتك الحقيقية لأن
معرفة ما قد تعلمك أن لا تتحرك إلا في
الوقت المناسب حتى حين تكون في البراز.
كنتم متضايقين منا وبدأتم تتحركون

وسي - روبرت استغنتم بالانكليز
والفرنسيين . خدعوكم بكلامهم عن الحرية
والحقوق . جاؤوا فخلصوكم منائهم
التهموكم " يلتفت إلى بهاء " ماذا تنتظر
يا بهاء؟

أنتظر أو أمرك يا باشا

بهاء

أنا باشا؟ أنا مجرد إنسان مهزوم يا بهاء .
تدبر أمرك وانج بنفسك . هذا عالم ينهار
ولن يبقى لنا فيه أمان . إذهب يا بهاء وانج
بنفسك

جمال

لا يمكن أن يكون قد انتهى كل شيء
يا باشا .

بهاء

بل انتهى كل شيء يا بهاء . انتهى . أنا
سأذهب إلى أفغانستان

جمال

لاتيأس بهذه السرعة يا باشا .

بهاء

" يتناول كتاباً ويفتحه على صفحة محددة
فيه ثم يعطيه لبهاء "

جمال

"يتناول الكتاب مستغرباً يتطلع إلى
غلافه دون أن يفقد الصفحة المطلوبة "
أوديب ؟

يهه

:" يهز برأسه بصمت " إقرأ علي ما يقوله
أوديب لكريون .

جل

" يقرأ " فات الأوان يا كريون إن
روحي قد غادرت طيبة . وكل ما يربطني
بالماضي قد انقطع . لم أعد ملكاً . لأشيء
إلا أحوال لا اسم له يهجر ممتلكاته واسمه
العظيم ونفسه .

يهه

" تقلت من أفرادها بعض الضحكات . "

جوقة

" يرفع رأسه ويتطلع إليهم بحزن " أنتم
تشمتمون بهزيمة الجبابرة . نعم أنا كنت
جباراً . لكنكم لاتعرفون أي ألم يحيق
بالجبار وهو يصغر ويصغر ويصغر حتى
يعود إنساناً عادياً صغيراً . وأصغر بكثير
من أي واحد فيكم . يهوي . يهوي . ويهوي
بمقلار ما كان عالياً يهوي إلى عمق أشد .
فيحسدكم أنتم الذين ما زلتم تعيشون على

جل

الأرض يحسدكم على يومياتكم الصغيرة
التافهة وهو يهوي دونكم إلى الدرك
الأسفل سأعترف لكم اعترافاً صغيراً
حين وصل الإنكليز إلى القلنس وقفت على
شرفة الفندق وتذكرت يوم وقفت على
شرفة بناية العابد أنفجر على تنفيذ
الإعدامات كان علي أن أدرك نهايتي في
تلك اللحظة لكن المكابرة منعتني . بعد
الهزيمة وقفت وحيداً ورأيت الناس يمرون
إلى شؤونهم أدركت كم أنا صغير
ومؤقت وعابر . وهؤلاء الناس باقون .
أحسست أنهم مجرد أناس يريدون أن
يعيشوا وأن يكملوا الحياة . لماذا لم أستطع
أن أعيش مثلهم ؟ هل تظنون أنني فخور
بذهابي إلى أفغانستان ؟ لا أريد أن أنكر
عليكم الآن أن مسألة تنظيم جيش للملك
أفغانستان ليست أكثر من حجة . نعم
حجة تساعدني على الهرب . لقد تعبت .
تعبت وأريد أن أهرب من نفسي

أولاً. ألبس القناع مرة لأخرى. قناع الجبار
الذي يخيف وينفذ الناس أوامره خوفاً
وتملقاً. كيف لي أن أعيش إنساناً عادياً؟
لن أستطيع. لقد سرت في طريق لارجعة
منه. ذلك الطريق الذي كنتم تسمونه
درب الصد مايرد " يتنهد بألم ويجلس
أرضاً. تتصاعد موسيقى ناي حزينة. ينتبه
إليها باهتمام. " ياسلام ما أجمل هذه
الموسيقى الحزينة تعرفون؟ طوال عمري
كنت أكره الموسيقى الحزينة والغناء
الحزين. يبدو أن هناك شيئاً كان غائباً عني.
وها أنا أدركه الآن مصائب تحل بإنسان
أو بمجموعة من البشر أو بشعوب كاملة
ثم تمر الأيام وينسى الناس أو يتناسون
مصائبهم. ولكن تلك المصائب تترك ندوباً
في النفوس تعبر عن نفسها بالغناء الحزين
والموسيقى الحزينة. أتمنى الآن لو أنني
أتقن العزف. لو أنني أتقنه لما استطعت أن
أعزف إلا شيئاً كهذا " يسمع صوتاً فيقفز
مذعوراً " جاوزوا جاوزوا لتصفية الحساب

معي. سيقتلونني أين الحرس ؟ أين بهاء ؟
أين سأختبئ ؟ يارب ساعدني يا الله

" لآخر " هذا ما كنا نقوله ونردده
ابن الحرام لا يذكر ربه إلا ساعة الشدة

جولة

جال

: "الذي لا يسمعهم " يا الله كيف تضيق
الدلهي الواسعة علي الخائف المطلوب لقد
أصبحتُ وحيداً أمام العالم ولكن لا
لن أستسلم بهذه السهولة. سأختبئ .
وسأقاوم " يركض إلى الباب فيغلقه ثم
يسحب السرير والكراسي ويضعها خلف
الباب. يتطلع خائفاً إلى النوافذ فيغلقها
ويسدل الستائر " يتجسسون علي أنا واثق
أنهم يتجسسون علي ويراقبونني . طوال
عمرهم يتجسسون علي. ولكن في الماضي
كانوا يريدون أسرار الجيش الآن يريدون
حياتي يجب أن أتكرر. يجب أن
لا يعرفوني . أحتاج من الوقت ما يكفي
لايصالي إلى ملك أفغانستان " يخلع
ملابس الباشوية ويرتدي اللباس الذي بدأ
به المسرحية يطفى الأضواء . وينكمش

في زاوية . الجوقة تتقدم بخطوات واثقة.
يرفع رأسه فيراهم يهمس " بهاء أين
أنت يا بهاء ؟

بهاء قُتل .

جوقة

"يحاول تجاهلهم " قُتل؟ هل عرف أنور
باشا ؟

جمال

: وأنور قُتل أيضاً

جوقة

أنور أيضاً ؟

جمال

: والصدر الأعظم سعيد حليم باشا قُتل
أيضاً وكذلك عزمي بيك وطلعت باشا

جوقة

"يتراخي مستسلماً " لافائدة . ليس لي
مهرب . " يرفع نظره إليهم يائساً "من
منكم سيقتلني ؟

جمال

ماضيك .

جوقة

: الماضي حافل . من منكم سيلبس لباس
الماضي ويصبح قاضيا باسمه ؟؟

جمال

:الذي يسبق.

جوقة

لا. بل أنا الذي أقتله أنا اصطفان
زاغكيان

اصطفان

ما أسهل أن نقتله الآن

جولة

ما أسهل أن يُقتل

هذا العاري من سلطته ومن الطغيان

هذا المستسلم في الدرك الأسفل

هيا فلتقتله سريعاً يا أصطيفان .

اقتله لكي تتأثر

لكن من يقتله في الوجدان ؟

من يجهضه من رحم المستقبل ؟

فالخطر الأكبر

من هذا الباغي

أن يتكرر

والحكمة لي كل أوان

أن تهدم سجناً

لا أن تقطع كف السجنان

أنهينا واجبنا الأصغر

وسنبدا منذ الآن

واجبنا الأكبر

هذا الطغيان

لن يتكرر

لن يتكرر

النهاية





اتحادیه کتابخانه‌ها و اسناد
National Library and Archives of Iran
ملفوظات

هذا الكتاب

مسرحية جديدة لكاتب عربي مسرحي معروف ،
تحلل بشكل لافت للانتباه شخصية جمال باشا السفاح ،
والي دمشق الذي عرف بقسوته وخطوته ونزواته
الطورانية ، وتقدم مشهديات من الألم الإنساني عما
فعلته الحرب العالمية الأولى في النسيج الاجتماعي في
بلادنا آنذاك .

وتحفل المسرحية ، بحضور درامي متصاعد ،
وحالات من التنامي المتطور لمشاهدها عبر حضور إنساني
فاعل تجاه الكوارث التي أفرزها الواقع الاقتصادي
والاجتماعي والسياسي آنذاك